البابا يوحنا العاشر John X (٩١٤ – ٩٢٨م)

د. وفاء مختار غزالي على
جامعة الأزهر–جمهورية مصر العربية

المقدمة:

سنتناول فى هذا البحث تاريخ البابا يوحنا العاشر الذي عاش فترة من أحلك فترات التاريخ السياسى والدينى فى غرب أوربا، وتعكس هذة الفترة من تاريخ البابوية التدهور والمهانة والإذلال الذي تعرضت له البابوية والكنيسة الغربية بوجه عام بعد أن فقدتا تأثيرهما الروحى ومكانتهما بين المسيحيين، كما تبرز الفساد والرذيلة الذي انتشر فى إيطاليا وسيطر على زمام الأمور مما كان له أثر واضح فى سقوط البابوية إلى هوة سحيقة من الضعف والفساد الدينى والأخلاقى خلال القرن العاشر الميلادى [١].

أضحت روما مدينة بائسة نتيجة للصراع الدامى الذى ساد هذه الفترة التى شهدت مولد الأحزاب السياسية التى قدر لها أن تكون سوطا مسلطا على إيطاليا، فلقد تزعم النبلاء وطبقة الأرستقراطية الإقطاعية هذه الأحزاب فنهبت البلاد وأساءت للفقراء والحجاج وتنازعت فيما بينها للسيطرة على مقاليد الأمور السياسية والدينية حتى أصبح منصب البابا ألعوبة فى يد بعض العائلات الأرستقراطية التى أحرزت نفوذا كبيرا فى روما وتقلدت المناصب المهمة بها، وقامت بتعيين البابوات وعزلهم وفقا لأهوائها ومصالحها الخاصة حتى اعتلى هذا المنصب صبية وضعاف لا يملكون ما يؤهلهم لشرف هذا المنصب المقدس، فتعاقب عليه سلسلة من البابوات الذين تولوا مناصبهم عن طريق الرشاوى والمؤامرات المشينة التى دبرها نبلاء روما العابثون[٢].

خضعت الإنتخابات البابوية خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادى لسيطرة النبلاء الرومان من أسرة ثيوفلاكت Theophylact الذي كان عضوا فى مجلس الشيوخ وشغل منصب

---

(1) Gregorovius F., History of The City of Rome, Vol. III, Trans. from the Fourth German Eidtion by Homilton A., London,1895, Book VI, Chapter 1, pp. 244-252; Darras M., A general History of the Catholic Church, Vol. II, New York, 1866, p.555; Barry,The Papal Monarchy, NewYork, 1906, pp. 44-162; Lindsay B., Popes and Pornocratsi, Rome in the Early Middle Ages, ***FMG***., Vol. 1, No. 1, 2003, pp. 5-21; The Catholic Layman History of the Popas ,No. II, The Popas in the Tenth Century, Vol. 3, No. 35, Novmber, 1854, Indian University Press, pp. 128-130.

(2) Spalding, W., Italy and Italian Islands,Three Volumes, Edinburg,1841,Vol. II, p.82. Gibbon E.,The Dcline and Fall of the Roman Empire,Vol.V,Boston,1854, pp. 59-60; The Catholic Layman History of the Popas ,No. II,The Popas in the Tenth Century, , pp.128-130; Bryce J.,The Holy Roman Empire,New York,1907,P.85.

قنصل الرومان والمستشار المالى البابوى وأمير وقائد روما (٩٠٢ – ٩٢٠ م) ولعب دورا مهما فى اختيار البابوات وسيطر على الممتلكات البابوية [٣].

كما لعبت بعض الشخصيات النسائية من هذه الأسرة دورا بارزا فى تاريخ روما والبابوية بزعامة ثيودورا Theodora زوجة ثيوفلاكت وابنتيها ثيودورا الصغرى وماروزيا Marozia، اللاتى ترأسن الأحزاب السياسية وامتلكن الثروة والنفوذ والجمال وكن نموذجا للفساد الأخلاقى والفسق والفجور الذى لا نظير له، فلقد مارسن الرذيلة واختلطت لديهن الرغبة الجنسية مع رغبتهن فى السلطة، فرفعن للمنصب البابوى من يشئن ممن ارتبطن معهم بعلاقات مشينة وأنجبن منهم أطفال زنا أو غير شرعيين قلدوهم هذا المنصب المقدس [٤] .

ذكر المؤرخ ليتوبراند أسقف كريمونا Liudprand of Cremona (٩٢٠-٩٧٢ م)، الذى عاش فى القرن العاشر وأرخ لهذه الفترة، هؤلاء النسوة وصورهن فى أبشع صورة بعد أن وضح ما قمن به من أعمال قبيحة وجرائم وما اتصفن به من صفات مخزية، فصورهن فى صورة العاهرات اللاتى لا يترددن فى فعل أى شئ لارضاء شهواتهن ورغباتهن الشاذة [٥] .

---

[3] Gregorovius, History of The City of Rome , Vol. III, pp.244-252; Lindsay B.,Popes and Pornocratsi,Rome, pp.6-7; Ullmann W.,Ashort History of The Papacy in The Middle Ages , London,New York,2003, p.72.

وصل نبلاء الرومان إلى درجة كبيرة من النفوذ والسيطرة على الأمور السياسية والدينية فى روما بعد أن تقلدوا الإدارة المدنية فانتعش مجلس الشيوخ بفضل قوتهم وأسسوا مؤسسة علمانية تدير وتتولى المهام السياسية فيها وعلى رأسها القنصل الذى كان منتخب من بينهم وزادت قوته حتى أصبح منصبه وراثيا ، وكان يمارس سلطات بطريق الرومان وفى يده السلطة القضائية بالإضافة إلى المدنية ويتم تأكيد منصبه عن طريق البابا، لذا سعى القنصل إلى السيطرة على البابا فكان يختاره تبعا لأهوائه ، وقد شغل ثيوفلاكت هذا المنصب وشاركته زوجته ثيودورا فيه واتخذت لقب السناتورة Senatrix ، وظهر اسم ثيوفلاكت لأول مره عام ٩٠١ م ، من بين القضاة الرومان للويس الثالث Lewis III ، وتوجد خطابات مرسله إلى ثيوفلاكت وزوجته من أساقفة إيطاليا ، فيها من المديح والتبجيل ما يدل على المكانة الرفيعة والنفوذ القوى الذى تمتعا به بين الرومان ، انظر :

Gregorovius, History of The City of Rome , Vol. III, pp.251 - 253.

[4] Workman H,The Church of The West in the Middle Ages,ed.Gregory E., Vol.1, 1912 , p. 49; Comyn R., The History of The Western Empire,Vol.1,London,1841,P.107; Tout M.A.,The Empire and the Papacy,Period II,London,1909,pp.29-30.

Catterill H.,Medieval Italy,London,MCMXV,PP.331-332.

[5] Liudprand of Cremona, The Works of Liudprand of Cremona,ed.Bakker, Trans.F. Wright, London,1930, Book II,Chapter 58, pp.92-93.

ولد ليتوبراند عام ٩٢٠ م فى بافيا Pavia شمال إيطاليا وجاء من عائلة لومباردية ثرية ومتعلمة ، دخل أعضاؤها الخدمة الملكية فقام أبوه بمهام السفارات ،وقد عمل ليتوبراند شماسا فى كنيسة توليدو Toledo فى أسبانيا ثم أسقفا فى بافيا وأخيرا أصبح أسقفا لكريمونا التى تقع فى إيطاليا وكان دائما معارضا لحزب النبلاء الإيطاليين ، وترك ليتوبراند ثلاثة كتب جمعت فى كتاب واحد أطلق عليه أعمال ليتوبراند الكريمونى ، ويسمى أول أعماله الانتقام Antapodosis ويعتبر مصدرا قيما لتاريخ إيطاليا وألمانيا والدولة البيزنطية خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ،أما العمل الثانى هو بعنوان " كتاب عن انجازات عصر أوتو " Liber de Rebus Gestis Ottonis أما العمل الثالث فكان بعنوان "تقرير عن السفارة الى القسطنطينية" Relatio de Legation Constantinopolitana انظر:

Liudprand of Cremona,The Works of Liudprand of Cremona, pp.1-9; Darras,A general History of the Catholic Church, Vol. II, p.556.

أخضعت هؤلاء النسوة مدينة روما والبابوية لنفوذهن وكان لجمالهن تأثير كبير فى تدنيس المشهد السياسى واندلاع الفتن والدسائس، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين اعتبروا أن ما ذكره ليتوبراند عن ظلام هذه الفترة من التاريخ لا يعدو أن يكون مبالغة نابعة من روح الحقد لديه [٦]، إلا أن أحدهم وهو المؤرخ جريجورفيوس Gregorovius يعود ويعترف بحقيقة هذا الامر فيقول: "على الرغم من هذا تبقى هذه هى الحقيقة فى عيون الكاثوليك، فتظهر كنيسة ذلك الوقت وكأنها بيتا للدعارة، ومن المستحيل انكار أن نساء تلك الفترة منحن التاج البابوى وحكمن المدينة للرومان، وبدلا من انكار هذه الحقيقة تحت ذريعة الأخلاق، من الأفضل اعتبارها ظاهرة تاريخية فى ذلك العصر... " [٧] .

كان صعود يوحنا العاشر إلى كرسى البابوية نتاج لتلك الظروف السيئة التى كانت تمر بها روما وسيطرت على تاريخ تلك الفترة.

من هنا وعلى ضوء ما سبق كان اختيار هذا الموضوع لإبراز سمات هذه الفترة التاريخية، والوقوف على تاريخ البابا يوحنا العاشر ومن ثم الحكم عليه من خلال أعماله لا من خلال ما كتب عنه.

الأوضاع السياسية لإيطاليا خلال القرن العاشر الميلادى:

عانت إيطاليا خلال القرن العاشر من الضعف والفوضى السياسية، وسقطت فريسة لقوى متعددة تنازعت أمرها على امتدادها الجغرافى حتى أصبحت نهبا للطامعين فيها، وباتت مسرحا للصراع والتنافس فى الداخل ومطمعا للمغيرين فى الخارج [٨] .

انقسمت إيطاليا خلال النصف الأول من القرن العاشر إلى عدد من الوحدات السياسية، التى تشتمل على ثلاث مناطق جغرافية كبرى، ففى الشمال الإيطالى كانت المملكة اللومباردية وحكامها اللومبارديين[٩] وفى الوسط الإيطالى كانت الممتلكات البابوية التى خضعت خلال تلك

---

(6) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.256.
Darras,Ageneral History of the Catholic Church, Vol. II, p.556; Mann,H.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV,London,1910, pp.186-187.

(7) History of the City of Rome , Vol. III, p.256.

(8) Previte – Orton,The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1,Cambridge, 1952, pp.359-360; Sismondi J.,History of the Italian Republics,London, N.D., p.24; Tout.,The Empire and the Papacy, pp.27-28.

عن تاريخ إيطاليا خلال تلك الفترة بالتفصيل انظر :

Liudprand,Antapodosis, Six Books, pp. 27-212; Arnolf of Milan, The Book of Recent Deeds, Book1, Chapter 1-6; Previte – Orton, Italy in the Tenth Century in *Cam.Med.Hist*. III , pp.148-178.

(٩) استطاع اللومبارديون الاستيلاء على معظم شبه الجزيرة الإيطالية عام ٥٧٢ م واتخذوا بافيا عاصمة لمملكتهم الجديدة ، وتزامن ذلك مع ازدياد نفوذ البابوية السياسى والدينى حتى غدت تمثل إحدى القوى الحاكمة فى إيطاليا بجانب اللومبارديين والبيزنطيين ، وقام اللومبارديون بعدة حملات للاستيلاء على روما والممتلكات البابوية ،

الفترة لأسرة ثيوفلاكت، أما الجنوب الإيطالى فقد اشتمل على الممتلكات البيزنطية، وبالإضافة إليها وجد فى الجنوب أيضا ست دوقيات لومباردية تشترك فى حدودها مع الممتلكات البيزنطية، وهى سالرنو Salerno، وبنفنتيوم Benvento، وكابوا Capua، وجائيتا Gaeta، وأمالفى Amalfi، ونابلى Naples، وقد تأرجحت تلك الدوقيات ما بين استقلالها وولائها للامبراطور البيزنطى [١٠]

كما سيطر المسلمون على بعض المراكز فى الجنوب الغربى من إيطاليا وجزيرة صقلية، واستمروا يؤثرون فى توجيه سياسة ذلك الجزء من أوربا، ولا سيما الشاطىء الغربى لشبه الجزيرة الإيطالية بعد أن سيطروا على سواحلها [١١]، وغدت صقلية قاعدة للحملات الإسلامية ضد الثغور والشواطىء الإيطالية، حتى هبت على إيطاليا فى ذلك الوقت عاصفة من الخوف والذعر المستمر، وسرت الفوضى إلى جميع طبقات المجتمع [١٢].

استولى على حكم إيطاليا بعد انتهاء حكامها من السلالة الكارولنجية عام ٨٨٨ م، العديد من حكام المدن والماركيات الإيطالية، مثل حكام سبوليتو Spoleto وفريولى Friuli الذين استأثروا بالسلطة الفعلية فيها وتنافسوا مع حكام برجنديا Burgandy والبروفانس Provance الذين سعوا بدورهم إلى الاستلاء على الحكم فى إيطاليا والحصول على اللقب الامبراطورى الذى كان يرتبط بحاكم إيطاليا، وأصبح لقبا إسميا وظلا باهتا بعد أن فقد قوته وبريقه، وحصل عليه

فاستنجدت البابوية بشارلمان ملك الفرنجة (٧٧١-٨١٤ م) الذى قاد حملة ضد ايطاليا عام ٧٧٣ م وأسقط عاصمة اللومبارديين ، وبالرغم من ذلك بقيت بعض الدوقيات اللومباردية تتمتع بالاستقلال الذاتى رغم الجهود العسكرية التى بذلت من أجل اخضاعها حتى تم احياء المملكة اللومباردية فى شمال إيطاليا .

Enihard,The Life of Charlemagne ,Ann Arbor University of Michigan Press,1960,PP.29-30.

وفاء مختار غزالى ، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة فى العصور الوسطى ،دار الأفاق العربية،٢٠١٣ م ، ص ١٥٤-١٦٦ .

[10] Cam.Med.Hist. III, pp.149-150;

Tout,The Empire and The Papacy, pp. 27-28; Kohlrausch, F., History of Germany , from the Last Germany, Ed. by James , New York,MDCOCUI, p.124.

رأفت عبد الحميد ،الفكر السياسى الأوربى فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، صـ ١٣٢؛ وفاء مختار غزالى ، السياسة الخارجية لألمانيا فى العصور الوسطى ، أوتو الأول ٩٣٦- ٩٧٣ م ، دار الأفاق العربية ، ٢٠١٣ م ، صـ ٢٠٨ .

[11] Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, pp.359-360; Tout,The Empire and The Papacy, pp.27-28.

سعيد عاشور، تاريخ أوربا فى العصور الوسطى، ج١، التاريخ السياسى ، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٧٥، صـ٢٨٣ .

[١٢] محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، ط ٥ ، ١٩٩٧ م ، صـ ٩١-٩٢ .

عن فتح المسلمين لصقلية انظر: ابن الخطيب ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، القاهرة ، ١٩٥٦، صـ٤٣٠-٤٣١؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون ٧٣٢- ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢ – ١٤٠٦ م) ، ديوان المبتدأ والخبر،ج٤، دار الفكر ، بيروت،١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م صـ ٢٥٧-٢٥٩؛ أحمد توفيق المدنى ، المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا، مكتبة الاستقامة ، تونس، ١٣٦٥ هـ ، صـ٥٧ -٨٧ .

الضعاف الذين لا يستحقونه حتى وجد فى إيطاليا أكثر من عشرين منافسا يتصارعون على الحكم [١٣].

استولى برنجار الأول Berngar I (٨٨٨ – ٩٢٤ م) حاكم ماركية فريولى وحفيد الامبراطور لويس التقى (٨١٤–٨٤٠ م) من ناحية أمه جزيلا Gasila –ابنة الامبراطور–على حكم إيطاليا وخاض صراعات دامية مع منافسيه للإستئثار بالسلطة [١٤] – لسنا بصدد الحديث عنها هنا – لكن كل ما يهمنا هو الوقوف على ما كانت تعانيه إيطاليا من فوضى ونزاعات داخلية والتى استمرت حتى اعتلاء يوحنا العاشر لكرسى البابوية.

واذا أضفنا إلى هذا التفسخ السياسى فى داخل إيطاليا وحالة الضعف والتردى العام فى كل ناحية من نواحى الحياة الإجتماعية، الأطماع الخارجية التى تمثلت فى الغارات التى شنها الهنغاريون Hungarians من الشمال حتى دمروا البلاد وتركوها تعانى الخراب والفوضى[١٥]، بالإضافة إلى المسلمين الذين استقروا فى صقلية وجعلوها قاعدة قاموا منها بالإغارة على البلاد المجاورة والريف الإيطالى وهددوا الساحل الإيطالى واستقروا فى المناطق الجنوبية واخترقوا من شاطئ الريفييرا Riviera الغربى إلى البروفانس ودمروه بعد أن سيطروا على معابر جبال الألب وهاجموا وسط وجنوب إيطاليا وتعرضت روما نفسها لهجماتهم [١٦] .

---

(13) Liudprand,Book1,Chapters1-XL III, pp.42-61; Regesta Chronologico-Diplomatica Karolorum ed. Bohmer,Frankfort, p.1833, pp.122-129.

(14) Conyn,The History of The Western Empire and the Papacy, pp.27-28;
Liudprand,Book II,Chapter 50-, pp.97-98; Regesta Chronologico-Diplomatica, pp.122-129.

قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس، إدارة الامبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق ، محمود سعيد عمران، دار النهضة العربية ،بيروت ،١٩٨٠ م ، صـ ٩٦- ٩٨ .

لويس التقى هو ابن الامبراطور شارلمان (٧٧١ – ٨١٤ م) ، امبراطور الفرنجة ، وقد توج ابنه لويس امبراطورا قبل وفاته بقليل وذلك عام ٨١٣ م ، ثم ورث ابنه امبراطورية مترامية الأطراف ، لكنه لم يكن مثل أبيه ، فقد كان ضعيفا وطغت ميوله الدينيه على أعماله ، مما أعطى فرصة للاضطرابات والفوضى التى سادت عهده وكانت بداية لتقسيم امبراطورية الفرنجة الموحدة بين ورثته .عنه بالتفصيل انظر : وفاء مختار غزالى ، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة ، صـ ٨٠ – ٨٨ .

(15) Darras, A general History of the Catholic Church, Vol. II, p. 56 .

الهنغاريون أو المجريون Magyars هم قبائل رحل تعود إلى شعب الأورال Ural-Altic الذى كان يعيش فى مناطق الإستبس فى أسيا وعرفتهم أوربا فى منتصف القرن السابع الميلادى وقد سكنوا المنحدرات الشمالية التى تقع حول جبال الأورال ثم أخذوا فى التحرك غربا وتسللوا إلى سهول بانونيا Pannonia الرومانية بأواسط حوض الدانوب فى مطلع القرن التاسع الميلادى ثم عبروا جبال الكاربثيان Carpthian عام ٨٩٥ م واحتلوا هنغاريا ومنها قاموا بتهديد أوربا وبالإغارة على إيطاليا وألمانيا وفرنسا وأسبانيا ولم يكن أحد فى غرب أوربا أو شرقها قادرا على إيقافهم أو التصدى لهجماتهم فقد أمتازوا بالوحشية والقسوة المصحوبة بالسلب والنهب والتخريب .

Yolland A., Hungary, New York,1917, pp.15-16.
Felberman L., Hungary, London,1908, pp.1-2.
Romel D., Triumph of Survival, The Origians of Hungary 's Foreign Policy (890-1038), Adissertation Submitted to the Office of Grduate Studies of Texas University,2001, pp. 6-7.

(16) Sismondi,History of the Italian Republics, p. 24 .

مما سبق نستطيع أن ندرك الظروف السياسية التى كانت تمر بها إيطاليا فى الفترة موضوع البحث.

وصول البابا يوحنا العاشر إلى المنصب البابوى:

يوحنا العاشر رومانى الأصل ولد فى توسينيانو Tossignano على بعد حوالى سبعة أميال من إيمولا Imola الواقعة على سانترينو Santerno فى إقليم رومانا Romagna بإيطاليا ويدعى أبوه يوحنا أيضاً، ولا نعرف الكثير عن ماضيه سوى ما اشتق من سجلات المؤرخ ليتوبراند التى تصف البابا بصفات الفسق والفجور والفساد الأخلاقى، وتجعله غارقا فى الملذات الشهوانية مما يتنافى مع الأخلاق الملائمة لتولى هذا المنصب المقدس (١٧).

ارتبط يوحنا العاشر بعلاقة وطيدة مع أسرة القنصل ثيوفلاكت وزوجته ثيودورا، وحصل من خلالها على عدة مناصب دينية، ويروى لنا ليتوبراند المصدر الرئيسى لهذه الفترة كيفية وصول يوحنا العاشر لمنصب البابا، فيذكر أنه كان بفضل ارتباطه بعلاقة محرمة مشينة مع ثيودورا العاهرة زوجة ثيوفلاكت تلك العلاقة التى بدات قبل فترة من وصوله لهذا المنصب، وبالتحديد عندما كان شماساً فى أسقفية رافينا Ravenna التى تعتبر الثانية فى المكانة والنفوذ بعد أسقفية روما، وقد كان رئيس أساقفة رافينا يرسله مرارا وتكرارا إلى البابا فى روما من أجل الشئون الإكليروسية وهناك بدأت هذه العلاقة المريبة بين يوحنا وثيودورا التى أغرته بجمالها وبهرته بذكائها وثروتها ونفوذها حتى سقط فى الرزيلة بعد أن أرغمته على الزنا معها (١٨).

توفى فى تلك الأثناء رئيس أساقفة بولونيا Bologna فاغتصب يوحنا العاشر المنصب الشاغر بتأثير ثيودورا وقبل تكريسه بيوم واحد توفى رئيس أساقفة رافينا فطمع يوحنا فى هذا

Tout,The Empire and the Papacy, pp.27-28; Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, pp. 359-360.

أحمد توفيق المدنى ، المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، صـ٧٥-٨١؛ محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، صـ ٩٩-١٠٣؛ رأفت عبد الحميد ، الفكر السياسى الأوربى فى العصور الوسطى ، صـ١٣١؛ حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ،صـ١٥٢.

(17) Mckilliam, A., Achronicle of the Popes from st.Pter to Pius X, London,1924, p.190; Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p. 249; Mann, The Lives of The Popes in the Early Middle Eges,Vol. IV, p.152; Archibald B.,The History of The Popes ,Vol.V, London, MCCLXI, p. 90; Oxford Dictionary of The Popes, ed. Kelly J., Oxford,1996, p.121.

(18) Liudprand of Cremona ,Book II, Chapters 47-48, pp.96-97.

Liber Pontificalis,ed.Duchesne, L.,Tome Second, Paris, 1892, pp. 240 -241; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 249; Archibald,The History of the Popes ,Vol.V, p.90; Platina, B., (Native of Cremona), The Lives of The Popes, London, N.D., pp.245-246; Baronio Caesare ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV, Lucae, MDCCXLIV, a.912.

المنصب وترك أسقفية بولونا واغتصب منصب رئيس أساقفة رافينا بالرغم من أن ذلك ضد القوانين الكنسية، ثم جاء إلى روما وتمت مراسم تعيينه رئيسا لأساقفة رافينا عام ٩٠٥م [١٩].

عندما مات البابا لاندو Lando (٩١٣ – ٩١٤ م) دفعت ثيودورا يوحنا العاشر إلى ترك أسقفية رافينا واغتصاب المنصب البابوى فى روما، وتم ذلك فأصبح خلفاً له فى ربيع عام ٩١٤ م، وبهذه الطريقة ارتقى يوحنا العاشر المنصب المقدس الأعلى بين المسيحيين [٢٠].

يعلل ليتوبراند هذا العمل من ثيودورا بقوله: "خشية أن تمنعها طول المسافات التى تفصل روما عن رافينا والتى تصل إلى مائتى ميلا تقريبا من التمتع بحبيبها فى الفراش" [٢١].

على الرغم من معارضة رجال الدين لتنصيب يوحنا العاشر إلا أن الحزب الحاكم من طبقة النبلاء وعلى رأسه ثيودورا عضد يوحنا ورفعه للمنصب المقدس، فتوج بالمراسم والطقوس الدينية المعتادة [٢٢]، وقد اعتبره المؤرخون الإكليرسيون مغتصبا للكرسى الرسولى فى روما [٢٣].

نلاحظ مما سبق أن يوحنا العاشر يدين فى وصوله لهذه المكانة السامية لنفوذ وتأثير إمراة شريرة سيئة السمعة، وقد نقل عن ليتوبراند أغلب المؤرخين، وأنكر البعض صحة ما رواه واتهموه

---

(19) Liudprand of Cremona, Book II, Chapters 47-48, pp. 96-97; Liber Pontificalis, II, pp. 240 – 241; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.250; Archibald B., The History of the Popes ,Vol.V, p.90; Baronio Caesare , Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.905; Mckilliam, Achronicle of the Popes, p.190.

ذكر ليتوبراند أن بيتر أو بطرس أسقف رافينا هو الذى عين يوحنا العاشر شماسا ، لكن من المعروف أن أسقف رافينا فى ذلك الوقت كان يسمى كايلو Kailo

Mann,The Lives of the Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, p.152.

(20) Liudprand of Cremona, Book II,Chapter 48, P.97.

Liber Pontificalis, II, pp.240 – 241; Annals of The Empire from The Reign of Charlemagne,by The Auther of Age of Lewis XIV, Vol.1 , MDCCCLV,P.110; Timothy, V., Achronology of The Byzantine Empire,Great Britain ,2006,P.292.

وقع ليتوبراند فى عدة أخطاء تاريخية فيذكر أن يوحنا انتقل إلى منصب البابا بعد سنة من تعيينه رئيسا لأساقفة رافينا وأنه خلف مكرسه وهذا خطأ تاريخى وقع فيه ليتوبراند فمن المعروف تاريخيا أن يوحنا عين فى عام ٩٠٥ م رئيسا لأساقفة رافينا وهذا يوافق عهد البابا سريجيوس الثالث (٩٠٤-٩١١م) وأنه بقى فى هذا المنصب تسع سنوات وليس سنة واحدة كما ذكر ليتوبراند ،وبذلك لا يكون قد خلف مكرسه ، لأنه خلف البابا لاندو(٩١٣- ٩١٤ م) وبينما يذكر أيضا ان ثيودورا هى التى دفعته لترك هذا المنصب ليرتقى للكرسى البابوى ، يذكر المؤرخ بلاتينا Platina أن يوحنا قد خلع من أسقفية رافينا من قبل الشعب الذى ثار عليه لجرائمه وفضائحه .

The Lives of the Popes, p.245; Darras, A general History,Vol. II, p. 567, Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.152; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.285.

(21) The Works , Book II ,Chapter 48, p.97.

(22) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.250; Platina,The Lives of the Popes,London, N.D., pp.245-246; Platina, The Lives of the Popes, London, N.D., pp. 245-246.

Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici,Tomus XV,a.912; Platina,The Lives of the Popes, pp.245-246.

(23) Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Ages,Vol.IV, pp.152-153.

بالمبالغة والطيش والكراهية وأن سجله ملئ بالاخطاء والتشويش ولا يمكن الثقة التامة فيما أورده من أخبار [٢٤].

البابا يوحنا العاشر يقود الحرب ضد المسلمين:

بالرغم من أن البابا يوحنا العاشر يدين فى اعتلائه كرسى البابوية إلى ثيودورا إلا أنه لم يكن قانعا أن يبقى تابعا لها، فبمجرد أن اعتلى المنصب سعى لإثبات نفسه جديرا له، ووضع نصب عينيه أن يكون رجل الدولة الأول، لذلك بدأ فى التعامل مع المشاكل التى تعانيها البابوية فى الداخل والخارج.

كانت أهم مشكلة تعانى منها البابوية فى الخارج هى الهجوم المستمر على ممتلكاتها من قبل المسلمين المغاربة الذين استقروا فى الجنوب الغربى من إيطاليا وأسسوا لأنفسهم منذ عام ٨٨٢ م معقلاً حصيناً فى مونت جاريليانو Mount Garigliano الذى يفصل ولايتى جائيتا Gaeta وكابوا Capua [٢٥] ، وقاموا من موقعهم هذا بالهجوم على الريف الإيطالى والبلدان المحيطة فى كامبيانا Campania وهددوا الممتلكات البابوية حتى وصلوا إلى أسوار روما نفسها وسقطت فى أيديهم الأديرة المشهورة فى أرض Sabine مثل مونت كاسينو Montcassino وفارفا Farfa وسوبياكو Subiaco وسانت فينسينت St.vincent،التى تقع على نهر Volturno كما دمروا منطقة Anio عند النهر الذى ينبع

---

(24) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 280.

(25) Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Ages,Vol. IV, pp.151-152.
Liudprand,Book II, Chapters 50, p.98; Liber Pontificalis, II, pp. 240 – 241; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.259, p.186; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Ages,Vol.IV, p.154; Cam. Med. Hist. III, pp.149-150; Sismondi , History of the Italian Republics, p. 24 ; Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p.370.
أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، د. ت ، صـــــ٢٢٠-٢٢١ .
Skinnel P.,Family Power in Southern Italy,Cambridge,Studies in Medieval Life and Thought, Cambridge University Press,2002, p.33.
Gaeta ويقع جنوب جائيتا Liris بنى المسلمون حصنا لهم على جبل جاريليانو عند مصب نهر جاريليانو الذى كان يسمى قديما ليريس
Minturnae على مسافة قريبة من روما ومن المحتمل ان هذا الحصن يحتل موقع المدينة القديمة التى تسمى مينتارناى
Liudprand,Book II,Chapters 44, p.98; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.186; Archibald B.,The History of the Popes ,Vol.V, pp. 90-91; Platina,The Lives of the Popes, p. 246.
خلف المسلمون عاداتهم وتقاليدهم فى هذه المناطق وتوجد قلعة تسمى Saracinesco تقع على حافة جبلية صخرية وراء تيفولى ،اسمها مشتق من اسم المسلمين الذين سكنوها وتعكس العادات والتقاليد الاسلامية .
Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.261.

من Jenne ويتدفق إلى تيفولى Tivoli ومن هناك يتجه خلال أراضى كامبانيا الرومانية Campagna[٢٦].

حدثت عدة محاولات سابقة للقضاء على المسلمين ومعقلهم فى مونت جاريليانو [٢٧]، لكنها باءت بالفشل وذلك لتفرق أمراء جنوب إيطاليا وتنافسهم مما حال دون اتحاد كلمتهم وتوحد هدفهم ضد عدوهم المشترك، بل وصل الأمر ببعضهم أنه تحالف مع المسلمين وأطلق أيديهم فى البلاد المحيطة مما أدى إلى زيادة نفوذهم واشتداد شوكتهم وتهديدهم الدائم لجنوب ووسط إيطاليا بسبب ضعف السلطة المركزية وترك كل بلدة أو دير للدفاع عن نفسه[٢٨]، كما قام المسلمون بالإغارة على مدينتى جائيتا وسالرنو وعانت الأملاك البابوية الأمرين جراء هذه الغارات التى وصلت إلى روما، وهددت الحجاج المسافرين من الغرب أو الشمال للصلاة فى الأضرحة المقدسة فى روما وعرضتهم لخطر القتل أو الأسر على أيدى المسلمين الذين كانوا لا يطلقوا سراحهم إلا بفدية كبيرة ، حتى أضطر البابا يوحنا الثامن John XIII (٨٧٢-٨٨٢ م) إلى دفع إتاوة قدرها ٢٥ ألف قطعة فضية للمسلمين [٢٩].

فقد هاجم المسلمون روما عدة مرات قبل عهد البابا يوحنا العاشر وليس لدينا سوى لمحات ضئيلة عن هذا الهجوم من المصادر الغربية فقط، فقد صمتت عنه المصادر العربية وقد نعلل

---

(26) Setton, K., A History of the Crusades , ed. Baldwin M., university of Wisconsin Press,1969, p.50; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp. 259-260; Cam.Med.Hist. III, p.150; Previte – Orton,The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p.370.

تميزت هذه الأديرة بثرائها وتاريخها العريق ، فمثلا كان دير فارفا Farfa الدير الامبراطورى ويقع فى ماركية فيرمو Fermo فى الأراضى الرومانية بجانب Lombard Nonant وكان الأكثر جمالا فى إيطاليا وكرست كنيسته الرائعة للعذراء وأحيط بهذا الدير خمسة مبانى رومانية أخرى أهمها القصر الامبراطورى وعدد من المبانى الأخرى وحصن هذا الدير بالأسوار والأبراج الحصينة واستولى المسلمون عليه بالإضافة إلى دير مونت كاسينو الذى دمروه فى عام ٨٨٤ م وقتلوا راهبه الذى يسمى Bertharius وفر بقية الرهبان إلى تيانو Teano .

Gregorovius, History of The City of Rome , Vol. III, pp.260-263,p.186

(٢٧) يجب ان نميز ونفرق بين المسلمين المغاربة الذين أقاموا معقلهم فى مونت جاريليانو فى عام ٨٨٢ م وهم الذين الذين Fraxinetumحاربهم البابا يوحنا العاشر – كما سنذكر – وبين المسلمين الذين أقاموا معقلهم فى فراكسنتيوم جاءوا من أسبانيا فى نهاية القرن التاسع الميلادى واستقروا على ساحل البروفانس فى منطقة جولف دى سانت أو فراكستينيوم وقاموا بهجمات Grad-Freinet التى تسمى أيضا جراد فرينيت Golf du St.Tropezتروبيز شديدة على المناطق المحيطة وخاصة منطقة البروفانس وسيطروا على معابر جبال الألب . عنهم بالتفصيل انظر :

Liudprand, Book 1,Chapters 2,3,45; Tout, The Empire and The Papacy,PP.27-28. ; Cam.Med. Hist. III, p.152.

وفاء مختار غزالى ، تاريخ المسلمين فى فراكسنتيوم ، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى ، اتحاد المؤرخين العرب ، العدد التاسع عشر، أكتوبر ٢٠١١ م ، صـــ٣٢٣-٣٥٦ .

(28) Cam.Med.Hist. III, pp.149-150; Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p.370; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.180- 186.

(29) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, pp.178-184; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.190.

صمت الرواية العربية عن ذلك بأن هذه الهجمات قامت بها جماعات قوية من المسلمين المستقلين عن الحكومة الإسلامية الرسمية المنظمة، غير أنه من الملاحظ من قوة هذه الجماعات وهجماتها الشديدة وما أحدثته من ذعر ورعب فى إيطاليا، أنها كانت على الأقل تعمل بعلم حكومة صقلية أو بالأحرى حكومة إفريقية التى كانت صقلية تابعة لها [٣٠]

هدف البابا يوحنا العاشر إلى انقاذ روما والكنيسة الرومانية من الاعتداءات الإسلامية، وكانت خطته للقضاء على مسلمى جاريليانو تستلزم تجميع كل القوى الإيطالية المتنازعة تحت لواء واحد فقد أدرك أهمية تعميق فكرة الوحدة المسيحية، لتشكيل اتحاد وتحالف مسيحى ضد العدو المشترك، فدعا لتجميع كل القوى الشمالية والجنوبية الإيطالية [٣١]، وكان الجزء الشمالى تحت سيطرة برنجار الأول الذي خاض حروبا كبيرة مع منافسيه من أجل الحصول على التاج الامبراطورى [٣٢] – كما سبق وأن ذكرنا –.

فطن البابا إلى أن اعادة إحياء الامبراطورية الايطالية هى الخطوة الاولى لتوحيد إيطاليا المفتتة ودوقاتها ونبلائها المتصارعين حول شخص واحد وهدف واحد، لذلك عضد البابا يوحنا العاشر الملك برنجار وأرسل له مندوبيه لابرام اتفاق معه يتضمن عرض التاج الامبراطورى عليه فى مقابل مساعدة البابا فى الحرب والتعهد بمشروع عسكرى مشترك ضد مسلمى جاريليانو، وقد نجحت خطة البابا فى إغراء برنجار بالتاج الامبراطورى، وبذلك ضمن البابا المساعدة فى حربه القادمة ضد المسلمين [٣٣].

بعد أن نجح البابا فى إغراء برنجار بالتاج الامبراطورى وضمن بذلك مساعدة الشمال الإيطالى فى مشروعه ضد المسلمين ، عمل على استمالة أمراء جنوب إيطاليا وعلى رأسهم الأخوين أتينولف الأول Atenulf I ولاندولف Landulf أميرى بنفنتيومBenevento وكابوا

أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، صـ٢١٩ ؛ محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، صـ ٩٩-١٠٣؛ محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ م ، صـ ١٩٩.

Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, p.534.

(30) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, pp.178-184.

محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، صـ ٩٩-١٠٣؛ محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ، صـ ١٨٥ .

(31) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.266-267; Setton , A History of the Crusades , p.50; Mckilliam., A chronicle of The Popes,p.190; Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Maxwell-Stuart, Chronicle of The Popes, London,1997, p.73.

(32) Liudprand,Book II,Chapter 50,pp.96-97.; Regesta Chronologico-Diplomatica, pp.122-129; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.285.

(33) Gregorovius, History of The City of Rome , Vol. III, p.263; Mckilliam, A chronicle of the Popes,p.190; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Darras,Ageneral History of the Catholic Church,Vol. II, p.568.

Capua وجيمار أمير سالرنو Guaimar of Salerno تلك الإمارات الإيطالية التى عانت كثيرا من هجمات المسلمين عليها، لذلك وجد البابا استجابة سريعة وحماسة شديدة للحرب ضد المسلمين، واستشار البابا النبلاء الإيطاليين فى أفضل السبل التى تضمن الانتصار فى الحرب، فأشار لاندولف الأول عليه بالاستعانة بأمراء إيطاليا المتنازعين وطلب المساعدة من البيزنطيين [٣٤]، وعقب لاندولف على ذلك قائلا: "دعنا نذهب للحرب بحماس، فاذا انتصرنا فان النصر سينسب لله وليس لأعدائنا وإذا هزمنا فان ذلك سيكون بسبب ذنوبنا وليس لحاجتنا للقوة" [٣٥] .

أخذ البابا يوحنا العاشر بنصيحة لاندولف الأول وأثنى عليه للمجهودات الكبيرة التى قام بها للترويج لهذا المشروع مع البابا الذى أرسل مندوبيه إلى كل أجزاء إيطاليا داعيا لهذه الحرب، فاستجاب له أمراء جنوب إيطاليا، الذين تصرفوا لأول مرة بحكمة ونبذوا الخلافات فيما بينهم وأثروا المصلحة العليا للوطن [٣٦].

كما قام البابا بارسال الرسل الى القسطنطنية لطلب المساعدة وكانت الامبراطورة زوى Zoe (٩١٤-٩١٩ م) على عرش الامبراطورية البيزنطية وصية على ابنها الامبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنيتيوس Constantin VII Porphrogenitus (٩٠٦-٩٥٩ م)، وحكمت الامبراطورة بقوة ومارست سلطاتها فى الداخل والخارج، ووجدت فى الاستجابة لطلب البابا فرصة لاعادة النفوذ البيزنطى فى إيطاليا والنيل من المسلمين الذين أغاروا على الممتلكات البيزنطية فى إيطاليا، ونجح البابا بذلك فى تكوين تحالف مسيحى ضد مسلمى جاريليانو [٣٧] .

جهزت الامبراطورة البيزنطية أسطولا كبيرا للمشاركة فى الحملة ضد المسلمين تحت قيادة نيكولاس بيسنجلى Nicholas Picingli استراتيجوس Strategius البيزنطيين فى جنوب إيطاليا ، كما شاركت بجزء كبير من قواتها البيزنطية فى كالابريا Calabria وأبوليا Apulia

---

(34) Liudprand, Book II, Chapter 51, p. 98; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.285; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, p.568.

لاندولف هو أمير كابوا ،اشترك مع أبيه فى الحكم حتى عام ٩١٠ م ، ومع أخيه أتينولف بعد هذا التاريخ ، ومع ابنه بعد عام ٩٣٣ م حتى عام ٩٤٣ م ، وقد اختلفت علاقته مع البيزنطيين ما بين التحالف و الحرب.

The Works of Liudprand, p.99.

(35) Liudprand,Book II,Chapter 51, p.98

(36) Gregorovius, History of The City of Rome , Vol. III, p.263; Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.154; Darras,Ageneral History of the Catholic Church,Vol. II, p.568.

(37) Liudprand,Book II, Chapter 52, p.99; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.266; Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.155; Finlay, G., History of the Byzantine Empire , London,1906, p. 67; Garland, L., Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium,1999, p.119; Runciman, S., The Emperor ,

كما قامت باستمالة دوقات جائيتا Gaeta ونابولى Naples فى جنوب إيطاليا بعد أن أنعمت عليهما بلقب بطريق الرومان لكى تظهر بدور بارز فى هذه الحملة (٣٨) .

تم بذلك التجهيز للحملة ضد المسلمين وإشعال الروح الوطنية وتوحيد صفوف الإيطاليين الذين اندفعوا حشودا تحت راية البابا فى هذه الحملة الصليبية، وبالرغم من أن الملك برنجار لم يقم بالمشاركة فى الحملة شخصيا لانشغاله ببعض الأمور العاجلة فى المقاطعات الشمالية، إلا أنه وضع القوات العسكرية تحت تصرف البابا، قوات تسكانيا بقيادة المارجراف أدالبيرت Adelbertوقوات سبوليتو Spoleto وكاميرنو Camerino بقيادة البيريك Alberic كما شاركت مقاطعات جنوب إيطاليا متحدة تحت قيادة أتينولف الأول (٣٩).

كانت خطة الهجوم أن يأخذ الأسطول البيزنطى موقعه عند مدخل نهر جاريليانو ليمنع وصول أى إمدادات تأتى للمسلمين، وأن تقوم قوات كابوا بعبور هذا النهر لمحاصرة المسلمين من جهة الشرق والشمال الشرقى، وتتقدم قوات البابا والبيريك لمحاصرتهم من ناحية الشمال، بينما يأخذ جيش أمراء جنوب إيطاليا موقعه جنوب حصن جاريليانو على الجانب البحرى، ويقيم البيزنطيون معسكرهم بالقرب من جبل جاريليا للتربص بالمسلمين والانقضاض عليهم حال هروبهم (٤٠).

تقدمت الجيوش من الشمال تحت قيادة البابا يوحنا العاشر شخصيا الذى ظهر بالسيف والحربة وكأنه جندى أكثر منه بابا، واستطاع بحماسة شديدة أن يجمع قوات الرومان من كل الولايات الإيطالية التى مر بها ووحدها مع قوات تسكانيا Tuscany وسبوليتو تحت قيادة

---

(38) Achronology of Byzantine Empire , pp.292-293; Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p.267; Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II,P.568.
الإستراتيجوس : يعنى القائد العسكرى الذى يجمع فى يديه السلطة العسكرية ، بالإضافة إلى الإدارة المدنية فى اقليمه ، وكانت الدولة البيزنطية قد أنشأت نظام الثيمات فى إيطاليا ويعنى الاقاليم العسكرية وذلك لمواجهة المد الإسلامى فى إيطاليا ، وجعلته تحت قيادة الإستراتيجوس ، فتم انشاء ثيم لانجوباردیا Longobardia وعاصمته بارى Bari وثيم كالابريا وعاصمته ريجيو Reggio . عفاف سيد صبره ، تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١١ م ، صـ ١٦١ – ١٦٤ .
Cam.Med.Hist. III, p.150; Previte – Orton,T he Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p.360.

(39) Liudprand, Book II,Chapter 52, p.99; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 266; Darras,Ageneral History of the Catholic Church,Vol. II, p. 568; Mckilliam.,Achronicle of The Popes,p.191.
ظهر اسم البيريك الأول ماركيز كاميرينو وسبولتيو لأول مرة عام ٨٨٩ م وتزوج ماروزيا عام ٩١٥ م ومن المحتمل أنه أصبح قنصل روما عام ٩١٧ م ومات عام ٩٢٥ م .
Lindsay,Popes , p.8.

(40) Liudprand, Book II, Chapters 52-54, p.99; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.267.
ميرفت محمد عبد الفتاح ،الامبراطورية البيزنطية على عهد رومانوس ليكابينوس ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الانسانية ، جامعة الأزهر، القاهرة ، ٢٠١٤ م ، صـ ٢١٥ .

ثيوفلاكت والبيريك اللذين اسند إليهما القيادة وكانا لهما دورا بارزا فى المعركة، وسار من الجنوب الإستراتيجوس نيكولاس بيسنجلى متجها شمالا إلى كامبانيا Campania وانضمت قوات كابوا وبنفنتيوم وسالرنو وجائيتا ونابولى إلى قواته [٤١].

بدأ الهجوم على معقل المسلمين فى جاريليانو فى ربيع عام (٩١٥ م / ٣٠٣ هـ) ودافع المسلمون عن أنفسهم بشجاعة لمدة شهر بالرغم من تفوق الرومان عليهم بأعدادهم الهائلة وتعرضهم للحصار المحكم الذى فرضه الرومان عليهم واستمر ثلاثة شهور مما أدى الى منع وصول الإمدادات لهم، حتى أضطروا فى النهاية للهروب إلى الجبال جراء الكارثة التى لحقت بهم بعد أن أشعلوا النيران فى معسكرهم وتفرقوا على هيئة جماعات صغيرة، فلحق بهم الأعداء وأوقعوا بهم ما بين قتيل وأسير، حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحياة، [٤٢]، وقد كانت صقلية تعانى الثورات والاضطرابات السياسية نتيجة لخروجها على سلطان الفاطميين وانضمامها للعباسيين، وربما هذا هو الذى حال دون مساعدتها للمسلمين فى جاريليانو، وأتاح الفرصة للإيطاليين المتحدين للإيقاع بهم.

انتصر البابا يوحنا العاشر بذلك على المسلمين ودمر مع قواته المتحالفة معقل جاريليانو الذي كان سوطا مسلطا على إيطاليا لأكثر من ثلاثين عاما، ويمثل هذا الانتصار الإنجاز الوطنى الأكبر للبابا خاصة ولإيطاليا عامة خلال القرن العاشر الميلادى، فقد تحررت البلاد

---

(41) Achronology of Byzantine Empire , pp.292-293; Setton , A History of the Crusades , p.50; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, P.267; Cam.Med.Hist. III, p.151; Mckilliam,Achronicle of the Popes,p.191; Previte – Orton,The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p.370; Mann,The Lives of the Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, PP.154-155.

(42) Liudprand, Book II, Chapter 54, p.99; Regesta Pontificum Romanorum,ed.Jaffe Ph.,Berolini,1841, pp.310; Liber Pontificalis, II,pp.240 – 241; Achronology of Byzantine Empire, pp. 292-293; Annales Beneventani,MGH. III,ed.Pertez G., Hannoverae,1839, p.175. Platina, The Lives of the Popes, pp.245-246; Comyn,The History of the Western Empire,Vol.1,p.84.

اختلفت المصادر الأجنبية فى تحديد تاريخ هذه المعركة فبينما تذكر المصادر السابقة أنها كانت فى عام ٩١٥ م تذكر Mckilliam,Achronicl of the Popes,p.191 مصادر أخرى أنها كانت فى عام ٩١٦ م مثل :
Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p.270.

يغفل ليتوبراند دور البابا يوحنا العاشر العسكرى فى معركة جاريليانو ، وربما يرجع ذلك لأنه أراد اظهار البابوية بالعجز والضعف ليبرر تدخل الأوتيين الألمان فى إيطاليا بعد ذلك بفترة قصيرة .
Liudprand,The Works, p.99, Note 55.

عن اضطرابات صقلية فى تلك الفترة انظر : ابن خلدون ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج٤ ، صـ ٢٦٤-٢٦٥ .
أحمد توفيق المدنى ،المسلمون فى جزيرة صقلية ،صـــ١٣٠-١٣٤. وربما يكون انصراف هؤلاء المسلمين عن هدف الجهاد الإسلامى الحق ، ورغبتهم فى جمع المال بأى وسيلة ، ونهمهم به ، حتى أنهم تحالفوا مع غير المسلمين ، كان سببا فى انصراف الدول الإسلامية التى كانت تمدهم بالعون عنهم وعن عونهم ، مما أضعف جانبهم ، وعجل بنهايتهم . أحمد محمد الدسوقى ، الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، حصاد ٧ ، ١٩٩٩ م ، صـ ٢٥٥ – ٢٥٦ .

الإيطالية حتى جنوب تسكانيا من هجمات المسلمين [٤٣]، وبقي موقع المعركة خالدا فى أذهان المعاصرين وعرف لسنوات طويلة "بساحة المعركة "، ويوجد نقش على الأبنية يخلد ذكرى طرد المسلمين من معقل جاريليانو [٤٤].

بعد ان كسب يوحنا العاشر النصر الذي نسب إليه على المسلمين وجد نفسه مضطرا للإتفاق مع أمراء ايطاليا لتعويضهم عن مشاركتهم فى الحملة، فأبرم معهم معاهدة رسمية فى معسكر جيش الحلفاء على نهر جاريليانو، تنازل لهم فيها البابا عن بعض أملاك الكنيسة وأكد لهم بعض الإمتيازات والتبرعات القديمة التى تمت فى عهد أسلافه، وقد وقع على هذه الوثيقة القادة والأمراء وعلى رأسهم ثيوفلاكت والبيريك وأقسموا جميعا على احترام هذه المعاهدة [٤٥].

عاد البابا يوحنا العاشر إلى روما ودخل دخول المنتصر مع المارجراف البيريك والقنصل ثيوفلاكت فاستقبلهم الرومان استقبالا رائعا يعكس أهمية الإنجاز الحربي الذي أحرزوه، ثم قام البابا باستغلال الغنائم التى غنمها من المسلمين فى إصلاح وتجديد كنيسة اللاتران وتزينها بالنقوش والصور حتى أكملها، كذلك قصر اللاتران الذي أصبح نموذجا للجمال والبهاء فى عصره [٤٦].

النتائج التى ترتبت على انتصار البابا فى معركة جاريليانو:

بهذا النصر الذي أحرزه البابا على المسلمين فى جاريليانو عام (٩١٥ م / ٣٠٣ هـ) انتهت فترة من أسوء فترات التهديد الإسلامى للممتلكات البابوية وتحررت البلاد الإيطالية حتى جنوب تسكانيا من مضايقات المسلمين لأول مرة منذ عام ٨٤٢ م [٤٧].

كان من أبرز نتائج انتصار البابا يوحنا العاشر هو تتويج الملك برنجار امبراطورا غربيا فى روما فى ديسمبر عام ٩١٥ م [٤٨] وذلك مكافأة له على جهوده فى حرب المسلمين بالرغم من

---

(44) Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol. IV, p. 156; Baronio ,Annales Ecclesiastici, Tomus XV, a.915; Setton, A History of the Crusades , p. 50; Acomplete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.285; Gilchrist, "The Papacy and Ware Against the Sarracens," *The International History Review*, Vol.10, No.2, May, 1988, Simon Farser University. p.183; Skinner, Family Power, p. 38.

أرشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، صـ٢٢٢ .

(45) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.267-268.

(46) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.267-268; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.156; Platina,The Lives of the Popes, p. 246; Annales de Flodoard , ed.Lauer,Paris, 1905,a.929.

(47) A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 285; Setton , A History of the Crusades, p. 50; Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, p. 371.

أرشيبالد ،القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، صـ٢٢٢ .

عدم مشاركته شخصيا فى الحرب – والتى لم تبررها السجلات التاريخية – الا انه مما لا شك فيه أنه قد شارك بالأموال والقوات العسكرية ونجح مع البابا فى تشكيل تحالف مع دوقات إيطاليا، وأوفى بالاتفاق الذى سبق وأن أبرمه مع البابا حين عرض عليه البابا التاج الامبراطورى فى مقابل مساعدته فى طرد المسلمين ، مما أدى إلى إنجاز الهدف الذى سعى إليه البابا [٤٩].

نستمد تفاصيل التتويج من المادح المجهول، الذى يصف مجئ الملك برنجار إلى روما بصحبة قوات كبيرة يقودها ويسير معها فى موكب عظيم وسط فرحة الشعب الذى علم باقترابه من منادى الملك عندما كان الملك يمر على بعد ميل من روما، وقد عسكر فى الميدان النيرونى Neronian، فجاء إليه احد أعضاء مجلس الشيوخ ويسمى سيزر Thither ليحيه ويستقبله بالهتافات التى ملئت الميادين ، وبالرايات المزينة وقد انضم إلى الموكب ابن القنصل ثيوفلاكت وبيتر أخو البابا يوحنا العاشر [٥٠].

تقدم الملك برنجار وهو يمتطى أحد خيول البابا خلال الجموع المندفعة التى تتسابق لرؤية الامبراطور الجديد، وكان البابا ينتظره فى كنيسة سانت بيتر وعندما وصل برنجار، ترجل من على حصانه، ومضى بخطوات ثابتة وبحماسة وسط الحشود التى كانت تحيط به، وتقدم فى اتجاه البابا الذي قام وقبله وصافحه باليد، ثم مضى الاثنان أمام بوابة الكنيسة، وهناك جدد برنجار كل وعود الأباطرة السابقين الخاصة بالكنيسة وأملاكها وأكد تبرعات سابقيه لأسقفية سانت بيتر [٥١].

دخل البابا وبرنجار إلى كنيسة سانت بيتر (القديس بطرس) وتقدما إلى الصلاة بعد أن قام رجال الدين بتأدية التراتيل الدينية بصوت جهور على شرفهما، وبعد الصلاة أمام ضريح سانت بيتر، تقدم الأثنان إلى قصر اللاتران، وتم تتويج الملك برنجار امبراطورا فى يوم الأحد الموافق

---

(48) Baronio ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV,a.915; A chronology of Byzantine Empire, p. 293; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.285; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.263-265.

اختلفت المصادر السابقة فى تحديد تاريخ التتويج الامبراطورى لبرنجار ، ما بين عامى ٩١٥ م ، ٩١٦ م ، ويرجع هذا الاختلاف إلى أن بعضها جعل التتويج قبل حرب يوحنا العاشر لمسلمى جاريليانو ، والبعض الأخر جعله بعد حرب المسلمين كنتيجة ومكافاة من البابا للمساعدة العسكرية التى قدمها برنجار له .

(49) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, pp.263-265; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol. IV, pp.157-159; *Cam.Med.Hist*. III, p.152; Catterill,Medieval Italy , p.327.

(50) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p.263; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.190.

يدل ظهور الأرستقراطية الرومانية المتمثلة فى شخص ابن ثيوفلاكت بجانب البابوية المتمثلة فى أخو البابا على اتحاد السلطتين الدينية والدنيوية فى يد البابا .

(51) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p.263; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol. IV, pp.156-159.

الثالث من ديسمبر بيد البابا وسط الصيحات والدعوات للامبراطور الجديد بالحياة المديدة، والقوة للامبراطورية وتحريرها من المأسى التى تعانيها [٥٢].

هكذا بدت إيطاليا وكأنها استعادت وحدتها على يد البابا وأصبحت البابوية القوة المسيطرة فى الجانب السياسى بعد أن تفوق البابا بقراره على الرومان ونجح فى جعل الجميع يتناسى الظروف المهينة التى رفعته إلى هذا المنصب المقدس، بفضل ما أحرزه من انتصار على المسلمين فى معركة جاريليانو عام ٩١٥ م.

البابا يوحنا العاشر والشئون الإكليروسية:

أولى البابا يوحنا العاشر اهتماما كبيرا بالأمور الكنسية ومارس سلطاته على الكنائس البعيدة وأرسل مندوبيه هنا وهناك للوقوف على مشاكل كنائس الغرب الأوربى ومحاولة حلها، وظهر ذلك جليا فى عدد من القضايا السياسية التى برزت فى ذلك الوقت وشكلت تاريخ غرب أوربا[٥٣].

فى ألمانيا انتهت السلالة الكارولنجية الحاكمة من الذكور بوفاة لويس الطفل عام ٩١١م [٥٤]، ولم يعد هذا البيت ممثلا إلا فى شخص شارل البسيط Charles The Simple (٨٩٣ – ٩٢٩ م) ملك فرنسا، لكن النبلاء الألمان لم يرغبوا فى أن يكون حاكما عليهم واختاروا كونراد الأول Conrad I دوق فرانكونيا Franconia – إحدى الدوقيات العظيمة وسط ألمانيا – ملكا عليهم فى نوفمبر عام ٩١١ م [٥٥] .

اعتمد الملك كونراد فى تنفيذ سياسته الداخلية الرامية للسيطرة على الدوقيات الألمانية التى كانت تريد الاستقلال، على التحالف مع الكنيسة فاستعان بالأساقفة فى صراعه مع أعدائه ووقف الأساقفة معه لتوحيد البلاد تحت سلطة مركزية واحدة لذلك اجتمعوا فى ألثيم Altheim أو هوهينالثيم Hohenaltheim قرب نويردلنجين Noerdlingen وعقدوا مجمعا كنسيا فى

---

(52) Baronio, Annales Ecclesiastici, Tomus XV,a.915; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 263

(53)Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.156-159; Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, p. 568; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.190.

(٥٤) ولد لويس الطفل حوالى عام ٨٩٣ م وحكم من عام ٩٠٠-٩١١ م ، وتوفى بدون وريث ودفن فى كنيسة القديس اميرام St.Emmeraim فى بافاريا .

Annals of the Empire from the Reign of Charlemagne, Vol.1 , p.13.

(55) Widukindi Monachi Corbeinsis ,Rerul Gesterum Saxoni Carun, Liber 1,Chapter 16, pp. 25-27; Reginonis Abbatis Prumiensis Chronicon Cum Continuatione Treverensi,ed.Kurz,Hanover, 1890, a.911; Adam of Bremen, History of the Archbishop of Hamburg-Bremen,Trans.,Taschan F.J., New York , 2002, p.47.

عن تاريخ ألمانيا فى هذه الفترة بالتفصيل انظر المصادر السابقة ، وأيضا وفاء مختار غزالى ، السياسة الخارجية لألمانيا فى العصور الوسطى .

حضور بطرس أسقف Horta وممثل البابا ومندوبيه، فقد رغب البابا فى إنهاء المشاكل فى ألمانيا ولذلك دخل فى علاقة صداقة مع كونراد ملك ألمانيا، وكان هدف هذا المجمع هو تقوية السلطة الملكية وأكد مندوبوا البابا أنهم أرسلوا نيابة عنه لتحطيم بذرة الشر التى بذرها الشيطان فى بلادنا والقضاء على مكائد الأشرار وسلموا رسالة البابا إلى أعضاء المجمع (٥٦).

احتوت رسالة البابا على كثير من النصائح الدينية والدعوة إلى التوحد ونبذ الصراعات والعنف، واستقبلها الحاضرون بالتبجيل وذرف الدموع اعترافا بالذنوب وطبقا لما جاء فيها، كان على الأساقفة ورجال الدين أن يكرسوا أنفسهم للوعظ وأمور الدين، وألا يقيموا أى علاقة مع حزب بعينه ضد الأخر، وأكد البابا فى الرسالة على منزلة ومكانة الأساقفة ورجال الدين وأنه لا يجب محاكمتهم من قبل العلمانيين، كما أكد البابا على حقه فى الاختصاص بذلك، وأن الأحكام لابد وأن تعود إليه بموجب القانون الكنسى (٥٧)، ونلاحظ أن البابا استغل هذه الفرصة لتأكيد حقوق البابوية على كنائس ألمانيا، فمارس سلطته كاملة فى ألمانيا وقام بإقرار وتعيين الأساقفة ورجال الدين فى مناصبهم (٥٨).

برز دور البابا واضحا فى الصراع بين ألمانيا وفرنسا حول امتلاك اللوريين Lorriane، عندما حدث نزاع فى بعض الأسقفيات الألمانية مثل Strasburg نتيجة لمولاة أسقفها Richevin لمصالح شارلز البسيط ملك فرنسا ضد كونراد ملك ألمانيا، وتدخل رجال الدين فى الأمور السياسية، فأرسل البابا خطابات كثيرة تحتوى على اللوم والتوبيخ لهم كما تحتوى على العديد من الحلول للكثير من الصعوبات التى أبداها كبير الأساقفة له (٥٩) .

---

(56) Adam of Bremen, History of the Archbishop of Hamburg-Bremen,Book 1, Chapter 55, P.48; Regesta Pontificum Romanorum, p. 310; Thietmar of Merseburg, The Chronicon,Trans.Warner D., Manchester, New York, 2001,Chapter 8, pp. 6, 72, Note 23; Darras,Ageneral History of the Catholic Church,Vol. II,p.570; Cam.Med.Hist. III,P.70.

انظر نص الوثيقة : Widukind,Liber 1,Chapter 25, pp.37-38; Book II, Chapters 20, pp.79-80. Liudprand,

(57) Mann, The Lives of The Popes in the Early Middle Eges, Vol. IV, p.172. Mann, Ibid, pp.172-173.

(58) Adam of Bremen, History of the Archbishop of Hamburg-Bremen,Book 1,Chapter 56 , pp.48-49 .

(59) Mann., The Lives of the Popes in the Early Middle Eges, Vol. IV, pp. 173-174; Tout, The Empire and the Papacy, pp.27-28; *Cam.Med.Hist*. III, p.70.

تقع اللوريين أو لوثرنجيا Lotharnigia غرب نهر الراين فى الجزء الشمالى من مملكة الفرنجة الوسطى التى تشتمل على أغلب أجزاء أوستراسيا القديمة وتعتبر نقطة اتصال بين فرنسا وألمانيا ومنطقة نزاع بين الطرفين ، وكان شارلز البسيط سليل الأباطرة الكارولنجيين ساخطا على كونراد ملك ألمانيا لأنه اغتصب حقه فى حكم ألمانيا ، لذلك استولى على اللوريين بالقوة مستعينا بالنبلاء مما أدى إلى اندلاع الحرب بين الطرفين .

Marshall, H., A history of Germany, London,1913, p. 85; Barraclough, The Origins of Modern Germany, Oxford, 1947, pp.21-24.

تدخل البابا يوحنا العاشر لحل المشاكل فى أسقفية ليج Liege التابعة لدوقية اللوريين، والتى توفى أسقفها ستيفن Stephen فى مايو عام ٩٢٠ م، فقام هيرمان Herimann دوق اللوريين بتعيين هيلدوين Hilduin خلفا له، وكان هيرمان ثائرا على الملك شارلز البسيط ملك فرنسا صاحب الحق الشرعى فى تعيين الأساقفة [٦٠]، وبذلك تعدى على سلطة الملك تشارلز الذى غضب فألغى تعيين هيلدوين ورشح ريتشار Richer رئيس رهبان بريمPriim بدلا منه وأجبر دوق اللوريين على تكريسه تحت تهديد السلاح وتصاعدت القضية حتى وصلت إلى البابا فى روما [٦١] .

أرسل البابا يوحنا العاشر فى عام ٩٢١ م خطابا إلى هيرمان يلومه فيه لأنه تعدى على سلطة الملك فى ترشيح الأساقفة وتم استدعاء المرشحين لهذا المنصب إلى روما وهما هيلدوين وريتشار، وهناك أقر البابا حرمان هيلدوين مؤقتا من الوعظ، وتعيين منافسه فى الأسقفية وذلك عام ٩٢٢ م [٦٢].

على الرغم من أن البابا يوحنا العاشر كان يرغب فى تكوين مملكة قوية فى ألمانيا إلا أنه لم يكن يرغب أن تزيد قوتها على حساب تشارل ملك فرنسا الذى كان يعانى كثيرا من الصعوبات مع نبلاء فرنسا الذين ثاروا عليه واستطاعوا الاستيلاء على العرش وتوجوا روبرت Robert – أخو أودو Odo كونت باريس – ملكا عام ٩٢٢ م والذى قتل فى العام التالى نتيجة للمواجهات المسلحة بين الطرفين تاركا ابنه هيو Hugh ليواصل الصراع مع تشارل البسيط، واستمرت الصراعات حتى تمكن نبلاء فرنسا من رفع راؤول Raull دوق برجنديا وصهر الملك الراحل روبرت للملكية الفرنسية وتوج فى عام ٩٢٣ م، بينما ألقى القبض على

---

[٦٠] نجح شارلز البسيط فى ضم اللوريين إلى مملكته بعد صراع مع ملوك ألمانيا ، ودفع بذلك حدوده إلى نهر الراين واتخذها مقرا له مما أثار ضده اللوريين التى كانت مطمعا لدوقها، بالإضافة إلى ملك ألمانيا ، فاندلعت الحرب التى أيدت حق شارلز البسيط فى اللوريين وذلك عام ٩٠٢ م .

Barraclough , The Origins of Modern Germany , pp.21-24; *Cam.Med.Hist*., III,PP.180-181.

محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة ، صـ ٥٦-٥٧ .

[61]Annales de Flodoard, a.920; Regesta Pontificum Romanorum, p.310 -312; Baronio ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV,a.920, a.929; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; Mckilliam.,Achronicle of the Popes, pp.191-192.

[62] Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges, Vol. IV, pp.173-174.

Regesta Pontificum Romanorum, pp. 310 -312; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.286; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.173-174; Annales de Flodoard, a.920; Mckilliam., A chronicle of the Popes, pp.191-192; Baronio, Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.929.

تشارلز البسيط الذى ظل سجينا فى يد هربيرت كونت فيرماندوز Heribert of Vermandois صهر راؤول [٦٣].

عمل البابا يوحنا العاشر على التدخل فى فرنسا لإطلاق سراح تشارل البسيط فاتصل بهربيرت وهدده بطرده من رحمة الكنيسة إذا لم يطلق سراح تشارل البسيط، لكن ضرب هربيرت عرض الحائط بكلام البابا، ولم تنجح المفاوضات التى تمت فى روما بين البابا وبين مبعوثى هربيرت فى الوصول لحل هذا الأمر، وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على ضعف نفوذ وتأثير البابا على هربيرت [٦٤].

بلغ ضعف تأثير البابا على هربيرت مداه حين تجرأ الأخير على تعيين ابنه هيو Hugh الطفل الذى يبلغ خمس سنوات رئيسا لأساقفة ريمز Rheims بالرغم من معارضة رجال الدين الذين استنجدوا بالبابا فأرسل رسله إلى ملك فرنسا لحسم هذا الأمر، لكن فشلت جهود البابا الذى أضطر إلى إقرار تعيين هيو فى أسقفية ريمز رغم استيائه من هذا الأمر، ولحفظ ماء وجهه جعل الطفل تحت وصاية أبون Abbon أسقف سواسون Soisson ، حتى يكبر ويكون فى سن مناسب لتولى هذا المنصب، وحصل هربيرت بذلك على ما كان يريد باقرار البابا، ففعل كل ما يحلو له ، ولم يعبأ بأوامر البابا، حتى أنه جمع فى يده السلطة الروحية على الأسقفية [٦٥].

اهتم البابا يوحنا العاشر بالأديره فى فرنسا خاصة دير كلونى Cluny المشهور الذى تأسس فى عام ٩١٠ م، وكان يخضع مباشرة للبابا، فأولاه عناية خاصة عندما تعرضت أملاك الدير للاغتصاب من قبل جايدو Guido راهب جينى Gigny ، فكتب البابا إلى الملك

---

(63) Annales de Flodoard ,a.922,a923, pp.7-9; Regesta Pontificum Romanorum, pp.310 - 312; Regesta Chronologico-Diplamatica, pp.186-187; Richeri Historiarum,MGH.SS. III,ed.Pertz.Hannoverae,1839, Liber III, pp.580-582; Annales de Flodoard, ed-Lauer Ph.,Paris,1905,a.932-933; Widukind,Liber 1, Ch.30, pp.42-43.

عن تاريخ فرنسا فى القرن العاشر الميلادى انظر:

Lavisse, E., Historire de France, II, Parise,1903; Fuck-Brentano, The National History of France, The Middle Ages,Trans.O'nill, London 1912.

(64) Annales de Flodoard, a.920, a923, pp.12-19; Richeri Historiarum, MGH.SS. III, Liber 1,pp.22-23; Mann.,The Lives of the Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, p.175; Mckilliam A., A chronicle of the Popes,p.192.

(65)Annales de Flodoard , a923, pp.12-19; Regesta Pontificum Romanorum, pp. 310 - 312; Richeri Historiarum,MGH.SS. III, Liber 1, pp .47-54; Baronio, Annales Ecclesiastici, Tomus XV, a.923, a.925; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p.286; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.192.

شهدت هذه الفترة تدهور البابوية والكنيسة الغربية بوجه عام وأصبح نفوذ البابا على هذه الكنائس إسميا فقط ومن الواضح أن سيطرة العلمانيين على الكنيسة أدى إلى انحطاط المستوى الأخلاقى لرجال الدين ،لأن الحكام العلمانيين لم يهتموا عند شغل الوظائف الدينية باختيار مرشحين على أسس سليمة مما أدى إلى وصول بعض الذين لا يحملون صفات رجل الدين المناسب إلى أرفع المناصب الكنسية. سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج١ ،النظم والحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٩١ ، صـ ٣٢٦-٣٢٧.

رودولف Rodoulf (٩٢٣ – ٩٣٦ م)، وإلى العديد من القساوسة والكونتات يأمرهم بإعادة ممتلكات الدير والعمل على اصلاحه مما لحق به، وبذلك أكد البابا حقوق الدير ونفذت أوامره بصرامة فاستعاد الدير حقوقه كاملة [٦٦] .

امتدت جهود البابا إلى الأديرة المختلفة، فمنحها الإمتيازات، ليس فى بلاد الغال فقط لكن فى ألمانيا فمنح دير فولدا Fulda وأديرة سويسرا Switzerland، وأديرة سانت جال St.Gall وأديرة إيطاليا وأولى دير سوبياكو Subiaco فى إيطاليا عناية خاصة فعمل على زيادة ممتلكاته، ووجه الرهبان للصلاة والدعاء من أجل الخلاص لأرواحهم وتثبيت الأفكار المسيحية، وزادت التبرعات لهذا الدير بعد أن بذل يوحنا كل جهوده وكافح من أجل مصلحة هذا الدير [٦٧] .

ظهر تأثير البابا يوحنا العاشر فى فرنسا أقوى فى الشئون الإكليروسية، واستعان فى ذلك ببعض الأساقفة ورجال الدين الذين قاموا بدور كبير فى تعضيد مشروع البابا فى نشر الدين المسيحى بين النورمان Northmen ،تلك الشعوب الوثنية التى استقرت فى المنطقة الواقعة على جانبى نهر السين Sein والتى عرفت فيما بعد باسم نورماندیا Nornandy ، بموجب معاهدة سانت كلير Saint Clair عام ٩١١ م [٦٨]

توجد خطابات من البابا إلى هيرفيوس Heriveus رئيس أساقفة ريمز Rheims يوجهه فيها إلى كيفية التعامل مع تلك الشعوب ومواجهة الصعوبات، وفى إحداها يرد البابا على خطاب مرسل من هيرفيوس قائلا: " لقد ملأنى خطابك بالأسى والفرحة معا، بالأسى للمعاناة التى تعانيها ليس فقط من الوثنيين لكن من المسيحيين، وبالفرحة لتحويلك النورمان الذين كانوا

---

(66) Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.259, 280; Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.150-151, 179.

William 1 of Aquitaine فى فرنسا ، من أجل الحفاظ على العقيدة Macon دير كلونى بالقرب من ماكون أسس وليم الأول دوق أكواتنيا الكاثولكية ، وكان الدير بمثابة ملاذا للفقراء ، وخضع لإشراف وحماية البابا شخصيا ، وحمل لواء الإصلاح فى القرن التالى من تأسيسه حت أصبح من أكثر الأديرة المشهورة التى ستبعث النظام والمبادئ الأخلاقية فى القرن الحادى عشر . سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، صـ٢٨٣، صـ٢٨٦-٢٨٧.

(67) Regesta Pontificum Romanorum, p.310 -31; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.179.

(68) Mann,Ibid, pp.176-178; Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, p. 568.

Nosteria تنازل الملك شارلز البسيط فى معاهدة سانت كلير عن منطقة نوستريا التى تمثل جزءا من فرنسا إلى النورمان الذين كانوا يهددون بلاده عن طريق الإغارات المستمرة والتخريب وذلك فى مقابل التبعية له واعتناق المسيحية والتعهد بالدفاع عن فرنسا ضد اعتداءات الجماعات الشمالية الأخرى ،عن هذه المعاهدة بالتفصيل انظر:
Annals of the Empire from the Reign of Charlemagne, Vol 1, p.116; Haskins, Ch.,The Normans in Eurpean History,Boston,New York, 1915, pp.27-28; Johnson, H.,The Normans in Europe , New York,1921.pp.36-37; Laffan, R., Select Docments of Europe ,New York,1929, pp.13-15.

يمرحون بدماء البشر، والأن أصبحوا بسبب كلماتك يسعدون لعودتهم للحياة بدماء المسيح، ولذلك شكرا للرب ونبتهل إليه أن يقوى إيمانهم، حيث أنهم غير متحضرين وحديثى الإيمان، ويجب أن يكونوا تحت الرعاية الكنسية، للتكفير عن ذنوبهم، ولردعهم عن قتل القساوسة والتضحية للأوثان، ونحن نترك لك أن تقرر ذلك، لأنه لا أحد مثلك يعلم أساليب وعادات هؤلاء الناس، ونفهم أنه لن يكون من الصالح معاملتهم بالقسوة التى تتطلبها القوانين الكنسية، لكن يجب على الأقل أن تفكر وتدرك أنهم لن يكونوا قادرين على تحمل الأعباء التى لم يعتادوا عليها، وقد يعودوا إلى أخطاءهم القديمة " (٦٩) .

يعكس هذا الخطاب سياسة البابا يوحنا العاشر التى اتبعها فى تحويل الشعوب الوثنية للمسيحية، التى تميزت بالحكمة فى التعامل مع هذه الشعوب، والرفق ونبذ العنف، لجذبهم للمسيحية تلك الديانة الجديدة عليهم، مع مراعاة عادات وتقاليد هذه الشعوب، ومما لا شك فيه أن تلك النصائح التى نصح بها البابا أتباعه من القساوسة ورجال الدين فى التعامل مع الوثنيين قد اتبعت بدقة، حتى تم تحويل النورمان تدريجيا للمسيحية.

عندما أدرك البابا امكانية نجاح سياسته فى تحويل النورمان للمسيحية وجه نظره صوب الشمال، حيث بدأ النورمان تاريخهم، إلى الدنمارك Denemark والسويد Sweden والنرويج Norway وأراد وضع هذه البلدان البعيدة تحت العناية الروحية للمسيحية، وأسند اختصاصها لرئيس أساقفة هامبورج – بريمن Hamburg – Bremen ، لذلك أرسل مرسوما بابويا فى ٢٩ أكتوبر عام ٩١٧ م، منح فيه السلطة القضائية على الأساقفة فى السويد والدنمارك والنرويج وايسلندا Iceland واسكندنافية Scandinavia وجرينلاند Greenland وكل الأجزاء الشمالية وبعض النواحى السلافية إلى رئيس أساقفة هامبورج – بريمن (٧٠) .

امتد نفوذ البابا يوحنا العاشر إلى أسبانيا ،على الرغم من الاختلاف بين اللاتين والأسبان فيما يتعلق باللغة المتبعة فى الطقوس الدينية فقد اتصل البابا بأسبانيا وقام بإرسال إمتيازات وهدايا ثمينة إلى القساوسة ورجال الدين هناك، فقد أرسل مبعوثا بابويا يحمل خطابات منه وهدايا إلى سبينارد Sbenard القس المقدس فى سيسموند Sismond ، وكان يوحنا قد سمع عن قداسته فأرسل له ليستجدى صلواته والدعاء للمسيحيين، وعندما عاد المبعوث البابوى إلى روما حمله القس خطابات منه وهدايا للبابا، والأمر الذى يثير التعجب هو اتباع ذلك القس للطقوس

(69) Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II,PP.568-569; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, P.178.

(70) Adam of Bremen ,History of the Archbishop of Hamburg-Bremen,Book 1,Chapter 56 , pp.48-49; Baronio ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV,a.917; Mann, The Lives of The Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.183-184.

الأسبانية القديمة التى تدعى موزأربس Mozarabs التى تعود لأصول عربية فى الصلوات والمراسم المسيحية، وتم مناقشة هذا الأمر فى المجلس البابوى والتوصل إلى تغيير لغة هذه الطقوس إلى الرومانية، لعدم تناغم الطقوس الأسبانية القديمة مع الإعتقاد المسيحى، وهناك من يرى أن يوحنا العاشر أعطى موافقة أو على الأقل موافقة مشروطة للطقوس الأسبانية موزأربس فى عام ٩٢٤ م [٧١] .

وكان اتصال البابا يوحنا العاشر بانجلترا لا ينقطع رغم التهديد المستمر لمسلمى فراكسنيتوم للحجاج الإنجليز الذي تعرضوا فى عامى ٩٢١ م، ٩٢٣ م لهجماتهم عندما كانوا ذاهبين للصلاة فى أضرحة روما [٧٢]، فكان البابا يرسل مبعوثيه للوقوف على المشاكل والمشاركة فى الأحداث السياسية والدينية فى إنجلترا، مما يعكس محاولة التأثير الدينى والدنيوى للبابوية فى شئون دول غرب أوربا فى تلك الفترة [٧٣].

فقد كان سكان إنجلترا يلجأون إلى روما رغبة فى التقوى والهدى بالإضافة إلى استشارة البابا فى بعض الأمور السياسية مثلما حدث فى عام ٩٢٧ م عندما جاء ويلفهلم Wulfhelm أسقف كانتبرى Canterbury من قبل الملك أثيلستان Athelstan (٩٢٧- ٩٣٩ م) إلى البابا فى روما لاستشارته فى أمر أحد المعارضين والمنافسين للملك ويدعى الفريد Elfred ، فأمر البابا باستدعاء الفريد الذى جاء إلى روما للدفاع عن نفسه والقسم أمام البابا وتم ذلك أمام المذبح المقدس بكنيسة سانت بيتر، وفى اللحظة ذاتها التى كان يقسم فيها سقط الفريد أمام المذبح فحمله الخدم ومات فى ثلث الليلة التالية، فأرسل البابا إلى الملك أثيلستان للتشاور معه حول دفنه فى روما، ثم أمرالبابا بدفنه فى كنيسة اللاتران قرب المدخل الرئيسى، وتظهر القصص من هذا النوع كم كان يوحنا العاشر رحيما بشعبه وكم كان تأثيره الدينى والدنيوى فى غرب أوربا[٧٤] .

---

(71) Mann, Ibid, pp.181-182; A complete History of the Popes of Rome, Vol.1, p. 286.

(72) Annales de Flodoard , a921, a923, pp.5-6,19; Baronio, Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.917.

فرديناند كلر، كتاب غارة العرب على سويسرة فى أواسط القرن العاشر، ترجمة شكيب أرسلان ،ضمن كتاب تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرة وايطاليا وجزائر البحر المتوسط ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٣٥٢ هـ ، صـ ٢٤٨-٢٤٩.

(73) Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.181-182.

(74) Baronio ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.927; Dodd's Church History of England, by Tieney M., London,1839, p.59; Mann.,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.182-183; Mckilliam A., A chronicle of the Popes, p.192.

البابا يوحنا العاشر وشعوب جنوب شرق أوربا

يقصد بشعوب جنوب شرق أوربا عامة السلاف Slave وهم أسلاف الشعوب التى تتحدث الصربية والكرواتية Serbo–Croatian الذين هاجروا فى النصف الثانى من القرن السادس أو أوائل القرن السابع الميلادى إلى ما يسمى حديثا يوغسلافيا Yugoslavia وأصبحوا جيرانا للامبراطورية البيزنطية ، ويدخل شعب الكروات ضمن الشعوب السلافية وهو الذى يشغل المنطقة التى تقع بين نهر سيتنيا Cetina والنمسا Istria ، وتشتمل على دالماشيا Dalmatia والمنطقة الداخلية وراء هذه الارض الساحلية التى تشتمل على المثلث الواسع على طول الساحل من زادار Zadar إلى النمسا [٧٥].

لم تظهر البابوية وعيا بأهمية الشعوب التى تقطن الجانب الشرقى من الأدرياتيك ونقصد بها السلاف والكروات وسكان دالماشيا قبل الربع الثالث من القرن التاسع الميلادى [٧٦]، وفى عهد البابا يوحنا العاشر أولى أهمية خاصة بهذه الشعوب وركز على قضية معينة وهى استخدامها اللغة السلافية وهى لغتها الخاصة فى الطقوس الدينية المسيحية، فأراد يوحنا أن تكون اللغة اللاتينية التى هى لغة الكنائس الغربية هى المستخدمة فى الطقوس الدينية من أجل تحقيق رابطة مسيحية موحدة ، وحتى لا تحل اللغة السلافية محل اللاتينية، وأعرب عن أسفه لابتعاد الناس عن لغة الكنيسة الرسمية [٧٧].

قام البابا من أجل تحقيق هذه الغاية بارسال إثنين من الأساقفة إلى دالماشيا ومعهما العديد من الخطابات مرسلة منه إلى الأساقفة ورجال الدين هناك، عبر فيها عن انكاره لتجاهل واهمال السلاف لزيارة الكنيسة الرومانية فى روما، التى هى صخرة الإيمان، وقال أنه من دواعى أسفه أن هناك عقيدة مسيحية لا تستخدم لغة الكنيسة المقدسة الأم، ونصحهم أن يصححوا هذا الأمر فى الأراضى السلافية، ويصلحوا أمرهم باتباع عادات وتقاليد الكنيسة الرومانية بالتحدث مع الشعب السلافى باللغة اللاتينية لأن الابن البار يجب أن يتحدث مثل أبيه لذلك يجب على السلاف أبناء الكنيسة الرومانية أن يلتزموا بعقيدة الكنيسة الأم [٧٨].

---

(75) Fine J.,Astudy of Identiry in Pre-Nationalist Croatia,Dalmatia and Slavonia in The Medieval and Early Modern Periods,The University of Michigan,2006, pp.18-20; Fine J., The Early Medieval Balkans , E.M.B.,Ann Arbor,1983, pp.25-42.
قسطنطين السابع ، ادارة الامبراطورية ، صـ ١١٧ - ١٣٢ .

(76) Fine ,Astudy of Identiry in Pre-Nationalist Croatia,Dalmatia and Slavonia, pp.42-43.
يبدأ إقليم دالماشيا عند حدود ديراكيوم Dyrrachium أو انتباره Antibari ويمتد إلى جبال استريا Istria حتى نهر الدانوب ، وكان يخضع قديما للرومان حتى استولى عليه السلاف ، وأهم مدنه سبالاتو، ومدينة سالونا التى أصبحت عاصمة لإقليم دالماشيا . قسطنطين السابع ، إدارة الامبراطورية ، صـ ١١٧ – ١١٨ .

(77) Fine, Ibid., pp. 42-43; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol. IV, p.165.

(78) Curta, F., South Eastern Europe, 500-1250, Cambridge, N.D., pp.196-197;

أرسل البابا خطابا أخر يحمل نفس المضمون إلى توميسلاف Tomislav ملك كرواتيا Croatia الذى استلم التاج من البابا فى عام ٩٢٥ م [٧٩]، وإلى جميع الكهنة والقساوسة فى سلافونيا Selavonia وبالإضافة إلى نصائحه طلب منهم البابا أن يدربوا أطفالهم على علوم الرب منذ نعومة أظافرهم، حتى يرسموا لأنفسهم طريقا يبعدهم عن إغواءات الذنوب [٨٠].

كانت كلمات البابا ذات تأثير قوى وعميق فتم عقد مجمعا دينيا فى الأراضى السلافية فى سبالاتو Spalato أو سبايترو Spaiatro التى تقع فى سالونا Salona عاصمة اقليم دالماشيا فيما بين عامى ٩٢٦ –٩٢٧ م، الذى أقر بعض القرارات والقوانين الكنسية، منها منع تعيين أى شخص فى وظيفة قس أو كاهن وهو جاهل باللغة اللاتينية، ومنع إقامة الشعائر الدينية باللغة السلافية إلا فى حالة عدم وجود القساوسة الرومان، كما أقر المجمع ضرورة رجوع الأحكام القضائية المتعلقة بالطلاق إلى روما لإقرارها من البابا طبقا للأعراف الكنسية القديمة[٨١].

كتب يوحنا العاشر إلى باقى قساوسة دالماشيا يخبرهم بالقرارات التى اتخذها مجمع سبايترو Spaiatro وأكد على حقه فى الاختصاص بالأحكام القضائية ودعوة الأحزاب إلى روما ، كما أخبرهم أنه فى حالة النزاع يجب أن ترد النزاعات إلى البابا فى روما [٨٢] .

توجد مخطوطة من القرن السادس عشر الميلادى تعرف بـ Historia Salonitana Mairo (H.S.M) تذكر انعقاد مجمعين دينيين فى Split فى عامى ٩٢٥ م، ٩٢٨ م وتحتوى المخطوطة على وصف طويل للمجمعين اللذين قد حضرهما المندوب البابوى وعددا من الأساقفة بالإضافة إلى ملك كرواتيا ونبلائه، وتحتوى المخطوطة على خطاب من البابا إلى تومسلاف الذى يدعوه البابا بملك الكروات، ويخاطب فيه أيضا كل شعب سلافونيا ودالماشيا، وكان هدف المجمعين واحدا وهو إحلال اللغة اللاتينية محل السلافية فى القداس والطقوس الدينية الأخرى، وتم رفع أسقفية Split إلى مطرانية وجعلها عاصمة لدالماشيا ولها السلطة الروحية على كل الأراضى الكرواتية، وبذلك أصبحت على رأس كل الكنائس السلافية الكرواتية،

Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle ages,Vol.IV, pp.165-166.

(79) Fine , A study of Identiry in Pre-Nationalist Croatia, Dalmatia and Slavonia, p.20; Regesta Pontificum Romanorum, p. 312; Curta,Southern Europe, pp.196-197.

(80) Regesta Pontificum Romanorum, p. 312. Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.166.

(81) Mann, Ibid, pp.166-167; Regesta Pontificum Romanorum, p. 312; Curta, South eastern Europe, pp.196-197

(82) Regesta Pontificum Romanorum, p. 312.

(83) Curta, Southern Europe , pp.196-197.

كما تذكر المخطوطة البعثات المسيحية التى تعمل فى الأراضى السلافية فى عهد البابا يوحنا العاشر [٨٣] .

جهود البابا يوحنا العاشر من أجل السلام

بينما كان الفرنجة والألمان والسلاف والبلغار والبيزنطيون يتبادلون مشعل النار فى المعركة من الشرق إلى الغرب والعكس، ويتصارعون بالسيوف من أدنى أوربا إلى أقصاها، وأدى ذلك إلى تمزيق أى رابطة يمكن أن تجمع بينهم، كانت هناك رابطة أخرى تربطهم جميعا هى رابطة الدين الروحية حيث روما التى تتعلق بها كل أمالهم، وقام البابا يوحنا العاشر بدوره على خير وجه، فأرسل مبعوثيه إلى تلك الأمم جميعا، يعظون ويروجون للسلام والأمن بين شعوب شرق وغرب أوربا [٨٤].

أرسل البابا الأسقف مادالبيرت Madalbert على رأس سفارة إلى بلغاريا للتفاوض من أجل السلام بين البلغار والسلاف ونجحت مجهودات مادالبيرت ممثل البابا فى وضع حد للحرب التى نشبت بين الطرفين [٨٥] .

ينتمى البلغار إلى جنس السلاف، وقد بلغوا درجة كبيرة من القوة وهددوا الدولة البيزنطية حتى وصلوا إلى أسوار القسطنطينية، وفى عهد البابا يوحنا العاشر كان البلغار تحت حكم

Cf. also Fine, A study of Identiry in Pre-Nationalist Croatia, Dalmatia and Slavonia, pp.44-55; Mann,The Lives of The Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, pp.165-167.

عن هذه المخطوطة أنظر: Kalicis, N., Introduction of Historin Salonitana, Beograd, 1967

(84) Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.171.

(85) Mann,Ibid,pp.168-170, Curta, South eastern Europe, p.196.

ينحدر البلغار من أصول سلافية (صقلبية) ، نزلوا فى بداية تاريخهم على نهر الدانوب ، حتى وصلوا إلى السواحل الشمالية الغربية للبحر الأسود فوق مصب ذلك النهر وذلك فى نهاية القرن الخامس الميلادي تقريباً ، ثم اجتازوا الدانوب جنوباً وتوجهوا نحو الإقليم الشمالى الشرقى من البلقان ، وأقاموا لهم دولة بلغارية فى ممتلكات الدولة البيزنطية فى البلقان واتخذوا ابوبا Aboba عاصمة لهم ، وأصبحوا بذلك على مسافة تقارب مائة وخمسين ميلاً من أسوار القسطنطينية ، فأقام البيزنطيون ثغر تراقيا على حدودهم مع البلغار لمواجهة التهديدات البلغارية . ويسميهم المؤرخون المسلمون بالصقالبة وهم قسمان بلغار الفولجا في شمال بحر الخزر وبلغار الدانوب جنوب غرب القسطنطينية والأخير هو ما يطلق عليه المؤرخون العرب برجان.

The Chronicle of Theophanes Confessor , Byzantine and near Eastren History , A.D.(284-813), trans. by Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997, pp. 497 – 499.

المسعودي (أبى الحسن على ، ت. ٣٤٥ هـ /٩٥٦ م) ، التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣م ، صـ١٦٤ – ١٦٥؛ ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت . ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، المسالك والممالك ، طبع فى ليدن ١٣٠٩ هـ ، صـ ٢٥٧؛ سانت موس ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨، صـ ٢٩٧؛ هانى البشير، بيزنطة وبلغاريا ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، صـ١٩ – ٢٩؛ نورمان بينز،الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ،القاهرة ،١٩٥٠ م ، صـ٢٨٩-٢٩٢.

سيمون Simeon (٨٩٢ – ٩٢٧ م) الذى دخل فى حرب مع الدولة البيزنطية وأنكر السلطة الروحية لبطريرك القسطنطينية [٨٦] .

أرسل بطريرك القسطنطنية نيكولاس مستيكيوس Nicholas Mysticus (٩٠١ –٩٠٧م ،٩١٢–٩٢٥م) العديد من الخطابات إلى يوحنا العاشر من أجل تسوية الخلافات فيما بين الكنيستين التى ساءت منذ فترة بسبب موقف البابوات السابقين الذين أجازوا شرعية الزواج الرابع للامبراطور البيزنطى ليو السادس Leo VI (٨٨٦ –٩١٢ م) بصورة نهائية، وبعد كثير من المحاولات وافق البابا عام ٩٢٣ م على إرسال إثنين من الأساقفة إلى العاصمة القسطنطينية هما ثيوفلاكت Theophlact وكاروس Carus لمناقشة الأمر وتحريم الإشتباكات التى اندلعت نتيجة لزواج الامبراطور البيزنطى، وبهذا تكون العلاقات قد عادت بين كنيستى روما والقسطنطينية بعد فترة من الانقطاع [٨٧].

حينما أرسل البابا يوحنا العاشر الأساقفة ثيوفلاكت وكاروس الى القسطنطينية كان بهدف إحلال السلام فى الكنيسة الشرقية ووضع حد للنزاع حول قضية الزواج الرابع وتحسنت بذلك العلاقات بين القسطنطينية وروما، لذا رغب نيكولاس فى الاستعانة بالبابا فى إبرام السلام مع سيمون ملك البلغار الذى أعلن الحرب على البيزنطيين، واستجاب البابا لهذا الأمر، وطلب من

---

[٨٦] كانت السياسة البيزنطية تستهدف منذ القرن السابع الميلادى ، تنصير الأمم الوثنية ، وتنافست فى ذلك مع البابوية فى روما ، وبذلت لذلك جهودا كبيرة خاصة مع البلغار ، حتى تم تنصيرهم على المذهب الأرثوذكسى ، وانتصرت بذلك كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية على روما الكاثوليكية ، لأنه كان من الطبيعى أن تكون أراضى بلغاريا التى تقع فى زمام الامبراطورية البيزنطية تابعة لبطريرك القسطنطينية ، وأصبح رئيس أساقفة بلغاريا فى المرتبة الثانية بعد بطريرك القسطنطينية من حيث المكانة الكنسية .

The Russian Primary Chronicle, trans. Samual H. Cross, USA, 1953, p. 60; Vasiliev, A., History of Byzantine Empire, Vol.1, Madison,1952, p. 315.

(87) Mann., The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, pp.167-168; Vasiliev, History of Byzantine Empire,Vol.1, p. 334; Maxwell-Stuart, Chronicle of the Popes , p.73.

كانت أهم مشكلة شغلت الدولة البيزنطية داخليا فى هذه الفترة ، هى قضية الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس بعد أن اختلفت الأراء فى جوازه من عدمه ، وتصدى بطريرك القسطنطينية لذلك الأمر، لأنه كان يرى عدم جوازه .

A complete History of the Popes, pp. 285 -286.

مرفت عبدالفتاح الديب ، الامبراطورية البيزنطية على عهد رومانوس ليكابينوس ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الانسانية ، القاهرة ، ٢٠١٤ ، صـــ٦-٢٠ . انظر نص وثيقة الزواج التى أصدرها الامبراطور ليو السادس فى عام ٩٠٧ م :

Nicolas Oikonomides, "Leo VI's Legislation," *Dumbarton Oaks Papers*, Vol.30, 1976, pp.173-193.

ولد نيكولاس مستكيوس في إيطاليا عام ٨٥٢ م وتتلمذ على يد فوتيوس Photius بطريرك القسطنطينية (٨٢٠-٨٩٦ م) وتولى نيكولاس منصب البطريركية في القسطنطينية مرتين وزاد نفوذه فعين رئيساً لمجلس الوصاية على الإمبراطور القاصر قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس فى مايو ٩١٣م حتى فبراير ٩١٤ م ، وترك مجموعة من الرسائل القيمة التي تعتبر تاريخاً للكنيسة والدولة البيزنطية ، عنه انظر: دونالد نيكول ، معجم التراجم البيزنطية ، ترجمة حسن حبشى ، الهيئة العامة للكتاب ،٢٠٠٣ م ، صـــ ٥٤-٥٥ ، محمود سعيد عمران ، نصوص تاريخية من مصادر العصور الوسطي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٩ م ، صـ ١٩٩-٢١٣.

Vasiliev, History of Byzantine Empire, Vol.1, p.333.

ثيوفلاكت وكاروس أن يقوما فى طريق عودتهما بزيارة سيمون وأعطاهما رسائل له لاقناعه بالعودة إلى طاعة بطريرك القسطنطينية واحترام الرابطة المقدسة التى تربط البلغار بكنيسة القسطنطينية وبطريركها الذى يريد أن يتقرب منه، والطاعة للبابا فيما يتعلق باحلال السلام بين البلغار والبيزنطيين (٨٨).

وقفنا على تفاصيل هذه الزيارة من خلال الخطاب الذي أرسله البطريرك نيكولاس إلى سيمون ملك البلغار يطلب منه الاستجابة لأوامر البابا ويوبخه على تنكره لسلطة نيكولاس عليه، فيقول: "لا يمكن أن نتخيل أنك تقف أمام أوامر كبير أساقفة الرومان وأن تتصرف معه بنفس الأسلوب الحقير الذي تصرفت به معى" (٨٩).

ساهمت جهود البابا فى إنجاز السلام بين البيزنطيين والبلغار بعد أن بدأت المفاوضات بين البابا وسيمون من أجل هذا الأمر فقد أرسل الأخير مبعوثيه إلى روما لمناقشة التوصل إلى اتفاق مع البابا، ورجعوا بصحبة مادالبرت مندوب البابا الذى بذل جهودا كبيرة للتوصل الى السلام، وأقام البابا تحالفا مع سيمون وأكد هذا التحالف بإرسال التاج الملكى له، ووفاة سيمون فى عام ٩٢٧ م أنهت المفاوضات بين الطرفين بعد أن أتت ثمارها، فتم الصلح بين البلغار والبيزنطيين فى هذا العام (٩٠).

الصراعات الإيطالية التى أدت إلى الإطاحة بالبابا

قامت ثورة عنيفة فى إيطاليا ضد الامبراطور برنجار قادها النبلاء الإيطاليون الذين كانوا دائما متقلبين فى ولائهم السياسى للحاكم الشرعى ويسعون دائما للخروج على سلطته، لذلك اتصلوا بردولف الثانى Rudoulf II ملك برجنديا (٩١٢-٩٣٧ م) وطلبوا منه طرد برنجار

---

(88) Baronio Caesare ,Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.917; A chronology of Byzantine Empire, p. 297; Mann, The Lives of the Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, pp.167-168; Vasiliev.,History of Byzantine Empire,Vol.1, p.334.

(89) Nicholas I, Letters, Greek Text and English Translation by Jenkins R., Washinton,1973; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges, Vol.IV, pp.167-168.

(90) Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Tomus XV,a.927; Runciman, The Emperor Romanus Lecapenus, pp. 96-97; Achronology of Byzantine Empire, p. 299; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle ages,Vol. IV, pp.169-170

قسطنطين السابع ، إدارة الامبراطورية ، صـ ٢٥ .

يرى بعض المؤرخين أن التقارب بين البابا يوحنا العاشر ونيكولاس بطريرك القسطنطنية جاء نتيجة لوجود بعض المصالح المشتركة بين الطرفين ، وقد أراد نيكولاس من البابا أن يقوم بتحريم الزواج الرابع للامبراطور ليوالسادس حتى يتمكن من العودة إلى منصبه الذى خلع منه من قبل مجمع دينى عقد فى القسطنطنية بعدما قام نيكولاس بالإعتراض على الزواج الرابع ، وأراد البابا من جانبه الحصول على مساعدة نيكولاس الذى كان بيده زمام الأمور فى القسطنطينية فى مواجهة المسلمين فى جنوب إيطاليا.

Vasiliev, History of Byzantine Empire,Vol.1, p. 334.

مرفت عبد الفتاح الديب ، الامبراطورية البيزنطية ، صـ ٧٦-٧٧ .

والاستيلاء على عرشه بمساعدتهم، وبعد صراعات ومعارك كثيرة، توج رودلف ملكا على إيطاليا فى عام ٩٢٢ م وظل الامبراطور برنجار محتجزا فى ماركية فريولى حتى مقتله فى عام ٩٢٤م[٩١].

احتفظ ردولف بتاج إيطاليا مدة ثلاث سنوات حتى ثار عليه نبلاء إيطاليا المتقلبون وطردوه بعد أن اتصلوا بهيو كونت البروفانس Hugh of Provance وساعدوه فى الاستيلاء على العرش الإيطالى وتوج هيو ملكا عام ٩٢٦م وعاد رودولف إلى برجنديا يجر أذيال الفشل[٩٢].

عانت إيطاليا فى هذه الفترة من التمزق السياسى فتكالب عليها الأعداء نتيجة لغياب السلطة الموحدة، فغرقت البلاد فى محن وعانت الكثير نتيجة للصراعات الداخلية ولم يكن هناك أمل فى بقاء أى سلطة مركزية يمكن أن تدافع عن البلاد ضد الأطماع الداخلية والخارجية [٩٣].

لم يكن الوضع فى روما يختلف عن باقى أجزاء إيطاليا من التنازع والصراع حول السلطة، ولم يكن البابا بمنأى عن هذه الأحداث، فقد اختفى من مسرح الأحداث السياسية الحزب الرومانى الموالى والمعضد له بعد وفاة كل من ثيودورا وثيوفلاكت والبيريك، وقد تزعمت ماروزيا ابنة ثيوفلاكت الحزب الرومانى وسيطرت على مقاليد الأمور فى روما مع زوجها الثانى فيدو Wido ماركيز تسكانيا، الأخ الغير شقيق لهيو ملك إيطاليا، وسعيا إلى تقليص نفوذ البابا والتدخل فى شئون البابوية، مما أدى إلى العداء الشديد مع البابا، وربما يرجع سبب العداء بين

---

(91) Liudprand, Book II, Chapters 60-73, pp.101-107; Regesta Chronologico-Diplomatica,pp.122-129; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp.272-273; Annales de Flodoard ,a922-924, pp.7-23; A chronology of Byzantine Empire ,pp.296-298.

قسطنطين السابع بورفيروجنيتيوس ، ادارة الامبراطورية ، صـــ ٩٦-٩٨ .

Baronio Caesare ,Annales Ecclesiastici, XV,a.922,924.

كان الإيطاليون الرومان متقلبين الطباع والولاء السياسى ولا يرضون عن حاكم واحد بل يريدون دائما أن يكون لهم سيدان ليبقوا أحدهما تحت مراقبة الاخر فيرفعوا من يشاءون للحكم واذا غضبوا عليه جاءوا بالأخر وظلت حالة إيطاليا على هذا النحو لفترة طويلة خاضعة لأهواء وقوة النبلاء ومدى رضاهم أو استيائهم من الملك .

Browning, J., The History of the Tuscany,Vol.1,London,MDCCCXXVI, p.175; Tout.,The Empire and the Papacy, p. 28.

(92) Liudprand,Book III,Chapters 8-16, pp.114-118; Regesta Pontificum Romanorum, pp. 311- 312; Regesta Chronologico-Diplomatica, pp.122-129; Comyn ,The History of the Western Empire,Vol.1, pp.86-87; Achronology of Byzantine Empire , p. 299; Baronio Caesare ,Annales Ecclesiastici, XV,a.926; Annales de Flodoard , a926, pp. 35-36.

(93) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p. 273; Tout, The Empire and The Papacy, p. 27; Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History,Vol.1, pp. 359-360.

البابا وماروزيا إلى أنها أصبحت غيورة وحاقدة عليه نتيجة لزيادة نفوذه فى روما، كما أنها أرادت الانتقام منه لعلاقته القديمة مع أمها (٩٤).

سعى البابا للحصول على حليف أخر يقوى به نفوذه حتى يضعف من سيطرة النبلاء الرومان على البابوية وتدخلهم فى شئونها، وقد وجد ضالته فى هيو الذى اختاره الإيطاليون ليكون ملكا عليهم، فسارع فى الإتصال به والإتفاق معه، فأرسل مبعوثيه، فقابلوا هيو فى بيزا Pisa عاصمة تسكانيا حيث توجد أملاكه ، وتم الترتيب لمقابلة بين هيو والبابا ، وتمت المقابلة فى مانتوا Mantua حيث تقابل الطرفان وعقدت بينهما معاهدة، تضمن تاج إيطاليا لهيو بمباركة البابا فى مقابل تعهد هيو بحماية البابا من الحزب المعادى له، وبالفعل تم تتويج هيو ملكا فى بافيا عام ٩٢٦ م (٩٥).

يبدوا أن البابا يوحنا العاشر كان مخطئا فيما سيعود عليه نتيجة التحالف مع الملك هيو الذي انشغل بمشاكله الخاصة وكان غير قادر أو غير راغب فى مساعدته، فى الوقت الذى زاد نفوذ ماروزيا وعدائها للبابا أكثر من أى وقت مضى وبدا التضارب فى المصالح واضحا بين الطرفين، مما جعلها تفكر مع زوجها فى الاطاحة بالبابا وتدبير الخطط لذلك (٩٦).

---

(94) A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; *Cam.Med.Hist*. III, p.153; Catterill,Medieval Italy, p.332; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p. 192; Ullmann, A short History of the Papacy, p.72.

شغلت ثيودورا منصب سيناتور Senatris وبطريق Patricia و Vstararissa وتوفيت بعد عام ٩١٦ م .
توفى ثيوفلاكت عام ٩٢٠ م وخلفته ابنته ماروزيا فى حكم روما .
ولدت ماروزيا عام ٨٩٠ م وشغلت منصب سيناتور Senatris وبطريق Patricia تزوجت عام ٩١٣ م من البيريك دوق سبوليتو ، وبعد وفاته من فيدو ماركيز تسكانيا ثم تزوجت أخيرا من هيو ملك إيطاليا عام ٩٣٢ م ، وماتت قبل ٢٨ يونيه عام ٩٣٦ م .
ولد فيدو أو جيدو عام ٨٩٦ م وأصبح ماركيز تسكانيا عام ٩١٥ م ومات فيما بين عامى ٩٢٨-٩٢٩ م ،عنهم أنظر:
Lindsay, Popes, pp.6-8; A chronology of the Byzantine Empire, p .295.
تبقى نهاية ألبيريك دوق سبوليتو الذى توفى عام ٩٢٥ م غامضة ، لصمت المصادر التاريخية عنه ويفترض المؤرخون أن ألبيريك بعد أن أحرز نجاحا كبيرا مع البابا فى معركة جاريليانو عام ٩١٥ م ، بدأ يغتنم الفرصة لزيادة نفوذه فشغل منصب بطريق روما ، وحدث نزاع بينه وبين البابا ونبلاء روما ، نتيجة لحكمه المستبد حتى نجحوا فى طرده من روما إلى قلعته هورتا Horta فى العام الذى توفى فيه ، فاستعان ألبيريك بالهنغاريين مما أثار الروما ن ضده فهاجموه وذبحوه فى قلعته وورث البابا وأخوه بطرس أملاك ألبيريك .
Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p. 274; Mckilliam., A chronicle of the Popes, p.191.

(95) Liudprand, Book III, Chapters 16-17, pp.117-118; Regesta Pontificum Romanorum, pp. 311- 312; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 277; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.161; *Cam.Med.Hist*. III, p.153; Browning,The History of the Tuscany,Vol.1, p.176; Mckilliam, A chronicle of the Popes, pp.191-192.

(96) A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Ages,Vol.IV, p.164.

موت البابا يوحنا العاشر:

يمكن القول بأن يوحنا العاشر كان ضحية لطموحه السياسى، بعد أن سعى للخروج من عباءة التبعية لحزب النبلاء الرومان وأثبت نفسه رجل دولة من الطراز الأول فعمل على توحيد الأحزاب المتصارعة وقادها فى حملة عسكرية ضد المسلمين وهزمهم فى معركة جاريليانو، كما عمل على التدخل فى الشئون الألمانية والفرنسية وجابت رسله الشرق والغرب الأوربى لارساء دعائم العقيدة الكاثوليكية وتدعيم سبل السلام بين المتنازعين – كما سبق وأن ذكرنا – وقد أدت هذه الأمور الى سطوع نجم البابا فى روما، مما أدى إلى الإصطدام بماروزيا وزوجها اللذين سعيا للسيطرة على مقاليد الأمور السياسية والدينية فى روما دون منافس .

عملت ماروزيا وزوجها فيدو ماركيز تسكانيا على التخلص من البابا يوحنا العاشر الذي نازعهما السلطة بعد أن قلد أخاه بطرس (بيتر) حكم روما وقوى الأخير نفسه بالإستيلاء على ماركية سبوليتو التى كانت ملكا لألبيريك وتنازل عنها قبل وفاته للبابا [٩٧].

استمرت العلاقات العدائية بين البابا وماروزيا مدة عامين (٩٢٦ – ٩٢٨ م) عانى فيها البابا الأمرين، واعتمد على مساعدة أخيه بطرس العسكرية فى التصدى لأعدائه، فعملت ماروزيا على التخلص من بطرس لتحرم البابا من هذه المساعدة، لذلك خططت مع زوجها وعقدا اجتماعا سريا مع القوات العسكرية الخاصة بهما، وتم الاتفاق على مهاجمة البابا وأخيه بطرس وتم ذلك، فحدثت مواجهات مسلحة بين الطرفين، أدت إلى تحصن البابا بقصر اللاتران وهروب أخيه بطرس إلى قلعة هورتا Horta التى تقع فى دوقية سبوليتو [٩٨].

عمل بطرس على مواجهة ماروزيا وحزبها فاستعان بالهنغاريين الذين وجدوها فرصة سانحة لنهب البلاد فصحبوا بطرس إلى روما الذي انضم إلى أخيه وتحصن بقصر اللاتران [٩٩].

قامت قوات ماروزيا بمهاجمة اللاتران بعد أن أثارت الشعب الرومانى ضد البابا وأخيه الذي استدعى الهنغاريين لبلادهم، ونجحت ماروزيا فى الوصول لأهدافها بمساعدة الرومان الثائرين فتم الهجوم على بطرس وقتله فى كاتدرائية اللاتران على مرأى من أخيه البابا، وتم القبض على

---

(97) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, p. 278; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.192; *Cam.Med.Hist*. III,p.153.

(98) Liudprand, Book III, Chapter 43,pp.132-133; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.192; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, pp. 278-279.

(99) Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p.162.

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى يستعين بها أحد الايطاليين بالهنغاريين ضد أعدائه فى داخل البلاد ، فقد قام الامبراطور برنجار بهذا العمل عندما واجه خصمه رودولف،ويعتبر هذا خطأ كبيرا وقع فيه الايطاليون لما ترتب على ذلك من أثار سيئة ألمت بالبلاد على يد هذه القبائل المتوحشة ،عن ذلك انظر :

Liudprand, Book II, Chapter 61, pp.101-102; Sismondi.,History of The Italian Republics, p.25 .

البابا نفسه والزج به فى سجن قلعة سانت انجليو St. Angelo فى روما، وذلك فى يونية أو يوليو عام ٩٢٨ م [١٠٠].

اختلفت المصادر التاريخية فى مصير البابا التعيس فبعضها تذكر أنه مات فى السجن فى نفس العام (٩٢٨ م) مخنوقا بوسادة [١٠١]، وتذكر بعضها أن البابا مات فى السجن فى العام التالى (٩٢٩ م) نتيجة لقلقه أو تجويعه [١٠٢]، ومن المحتمل أنه دفن فى الكنيسة قرب المدخل الرئيسى لقصر اللاتران [١٠٣].

أصبحت ماروزيا بذلك سيدة روما الأولى فقامت بتعيين البابا ليو السابع Leo VII الذي توفى بعد شهور قليلة، فخلفه ستيفن السابع (٩٢٩ – ٩٣١ م)، وبعده قامت بتعيين ابنها يوحنا من عشيقها البابا سيرجيوس الثالث تحت اسم البابا يوحنا الحادى عشر، وخضعت روما لنير وسيطرة النساء [١٠٤].

هكذا لقى البابا يوحنا العاشر نهاية مأساوية على يد إمرأة، حيث لعبت النساء دورا بارزا فى تاريخه، فتقف إمرأة وابنتها فى بداية طريقه ونهايته، فالأم منحته التاج البابوى والابنه حرمته منه.

تقييم شخصية البابا:

يتفق أكثر الكتاب على أن البابا يوحنا العاشر يستحق الاحترام على الأقل لحصيلة أعماله، وربما لا يكون مثالا للتقوى أو القدسية بوصفه رئيسا روحانيا للمسيحيين، لكنه يحمل مؤهلات

---

(100) Liudprand, Book III, Chapter 43, pp.132-133; Regesta Pontificum Romanorum, p. 312; Baronio Caesare , Annales Ecclesiastici,Tomus XV, a.928; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; Gregorovius, History of the City of Rome , Vol. III, p. 279; Annales Beneventani, *MGH*., III ,p.175; *Cam.Med.Hist*. III, pp.153-154; O'malley J.,History of Popes , New York, 2009, pp.79-81.

(101) Regesta Pontificum Romanorum, p. 312; Liudprand, Book II, Chapter 43, pp.132-133; Annales Beneventani, *MGH*., III , p. 175; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; O'malley,History of Popes, p.79; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.192.

تذكر الحوليات البيزنطية أن البابا يوحنا العاشر خلع فى مايو عام ٩٢٨ م من قبل الثورة التى قادتها ماروزيا ثم قتل فى السجن بعد ذلك بقليل . A chronology of Byzantine Empire, p.300.

(102) Annales de Flodoard , a929, pp.44-45; Regesta Pontificum Romanorum, p. 312 . Mann,The Lives of The Popes in The Early Middle Eges,Vol.IV, pp.162-163.

(١٠٣) ذكر ذلك المؤرخ مان Mann واعتمد فى ذلك على بعض أشعار الرثاء التى وجدت على ضريح كنيسة اللاتران يرثى فيها الشاعر أحد البابوات ، ويقول مان " نستنتج لحد معقول بأن الذى يتكلم عنه الراثى هو ضريح يوحنا وذلك لأن البابا يوحنا هو الاسم الوحيد الذى قرأ عنه أن أصلح كنيسة اللاتران "

(104) The Lives of the Popes in the Early Middle Ages,Vol. IV, pp.162-163.

Liudprand, Book III,Chapter 43, pp.132-133; Regesta Pontificum Romanorum, p. 312; A chronology of Byzantine Empire , pp.300-301; Catterill, Medieval Italy, p.332 كLiber Pontificalis , II , pp. 242-243

عن هؤلاء الباباوات انظر : Regesta Pontificum Romanorum, pp. 313 -314 .

عالية من الناحية العلمانية، فقد كان رجلا طموحا، ماهرا، جريئا، وبارزا بين رجال عصره [١٠٥]، وبالرغم من ذلك يقف يوحنا العاشر فى بؤرة الاتهام ويسلط عليه المؤرخون أقلامهم ويصفونه بأبشع الصفات الأخلاقية، حتى أن بعضهم يلعن تاريخه ويخرج عهده من سجل البابوات، ويجعله غير جدير بهذا المنصب المقدس الذى اعتلاه باعتباره مغتصبا له بمساعدة إحدى العاهرات [١٠٦].

من الجدير بالذكر أن هذا الإختلاف بين المؤرخين نتج مما سجله ليتوبراند فى مصدره التاريخى عن يوحنا العاشر، فمن ذم البابا اعتقد صدق ما أورده ليتوبراند عن البابا وعلاقته بثيودورا، ومن خرج عن هذا الاطار وأثنى على عهده شكك فيما أورده ليتوبراند من معلومات تاريخية واعتبره المسئول الوحيد عن توجيه هذه التهم للبابا، وتعرض هذا الفريق الأخير بالنقد اللاذع لليتوبراند ومؤلفه ، فقال أنه ولد عام ٩٢٠ م أثناء بابوية يوحنا وأنه كتب تاريخه بعد خمسين عاما تقريبا من الأحداث وأنه ملئ بالأخطاء التاريخية ويغلب عليه التشويش [١٠٧] ، وأن هذه التهم التى اتهم به البابا اعتمد فيها ليتوبراند – كما صرح هو بنفسه – على القصص الشعبية التى انتشرت فى عهده عن ثيودورا وابنتيها ، وهذا غير كاف لتشويه تاريخ البابا [١٠٨]. بالاضافة إلى أن المؤرخ فلودوارد مؤرخ القرن العاشر يثنى على البابا يوحنا العاشر ويمدح عهده فيقول عنه " فطنته وحياته الفاضلة جعلته يفوز بعرش له فى الجنة " وفى موضع وفاة البابا يقول: " حلقت روحه نحو السماء لامتلاك العرش الذي قد أعد له "[١٠٩]

تزعم جريجورفيوس الفريق المدافع عن البابا فيقول: " يوحنا العاشر ذلك الرجل الذي خطاياه معروفة فقط من قبل التقرير المعروف وضعه فى التاريخ، يقف صاعدا وسط ظلام العصر كواحد من أعظم الشخصيات بروزا بين البابوات، وأعماله فى تاريخ الكنيسة ممدوحة، وكذلك علاقاته بكل البلاد المسيحية، ... حتى أنه اعتبر أحد مصلحى الرهبانية " [١١٠].

---

(105) Gregorovius, History of the City of Rome, Vol. III, pp. 280; Darras, A general History of the Catholic Church, Vol. II, pp.567-571; Mann, The Lives of the Popes in the Early Middle Ages, Vol. IV, pp. 150-151; A complete History of the Popes of Rome,Vol.1, p. 286; Mckilliam, A chronicle of the Popes, p.190.

(106) Platina, The Lives of the Popes, p. 246; Catterill,Medieval Italy, p.331.

(107) Mann,The Lives of the Popes in the Early Middle Eges,Vol.IV, p. 151; Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, pp.556-557, 567-568; Mckilliam., A chronicle of the Popes, p.190.

(108) Darras, A general History of the Catholic Church, Vol. II, p. 571.

(109) Annales de Flodoard , a929, pp.44-45.

ولد المؤرخ فلودوارد أسقف ريمز Rheims فى Epernay شمال فرنسا عام ٨٩٤ م ، وتوفى عام ٩٦٦ م ، وحظى باحترام الكثير لأخلاقه الكريمة ، كما حازت مؤلفاته على ثقة المؤرخين أكثر من ليتوبراند.

Darras, A general History of the Catholic Church,Vol. II, p.557.

(110) History of the City of Rome, Vol. III, p.280.

يقول المؤرخ الكنسى داراس Darras " أثبت يوحنا العاشر الذى اعتلى عرش البابوية مدة أربعة عشر عاما ، قد أثبت نفسه فوق مستوى عصره ، إلا أنه من سوء حظه أنه عاش فى مثل هذا العهد من الفوضى المطلقة ، التى تضع البريء والمتهم جنبا إلى جنب دون تعريف أو تمييز " (١١١) .

مما سبق يتضح لنا وجود كثير من الخلافات المتعلقة بتقييم البابا وأعماله، وقد حاول هذا البحث تسليط الضوء على أعمال هذا البابا للخروج بنتائج تسهم بقدر ولو ضئيل فى الخروج من دائرة هذا الخلاف، وكانت أهم هذه النتائج:

بالرغم من أن يوحنا العاشر يدين فى اعتلائه الكرسى البابوى إلى علاقته غير المشروعة بثيودورا إلا أنه لم يكن مقتنعا أن يبقى تابعا لها، وسعى للخروج من عباءة هذه التبعية منذ اللحظة الأولى، فاثبت نفسه رجل الدولة الأول لهذا العصر.

عمل البابا يوحنا العاشر على إنقاذ البابوية من الأخطار الخارجية والداخلية، فقام بتوحيد جهود وأهداف النبلاء الإيطاليين المتصارعين وقادهم فى حرب ضد المسلمين الذين أقاموا له معقلا حصينا على نهر جاريليانو، ونجح فى هزيمة المسلمين مما أضفى عليه مجدا وشرفا بعد أن تخلصت روما فى عهده من هجماتهم.

حاول يوحنا العاشر إنهاء الصراعات الإيطالية وتقوية السلطة المركزية بإحياء اللقب الامبراطورى فقام بتتويج برنجار امبراطورا، ووضع بذلك حدا للحالة الفوضوية التى كانت تعانيها إيطاليا وعمل على الاستعانة به ضد أعدائه.

برزت أعمال يوحنا العاشر واضحة عندما تدخل فى شئون بلاد غرب أوربا محاولا تهدئة الأوضاع السياسية وتقوية السلطة البابوية على كنائس تلك البلاد.

ترك البابا يوحنا العاشر بصماته واضحة فى السجل البابوى بعد أن حاول إصلاح العقيدة المسيحية الكاثوليكية، وذلك بجعل اللغة اللاتينية لغة رسمية للطقوس الكنسية فى بلاد شرق وغرب أوربا، فعقد المجامع الكنسية وجابت رسله البلاد شرقا وغربا من أجل تعميم هذا الهدف، وكانت أعماله العديدة شاهدة عليه وغير قابلة للجدل، بالرغم من الإخفاق الذي واجهه فى بعض الأحيان.

بذل البابا يوحنا العاشر جهودا واضحة لتحويل الشعوب الشمالية الوثنية للمسيحية، فأرسل البعثات التنصيرية لهذه البلاد، وكان على إتصال دائم بالقساوسة ورجال الدين هناك، يقف على

(111) A general History of the Catholic Church,Vol. II, p.571.

الصعوبات التى يواجهونها، ويمدهم بالنصائح، ويتابع جهودهم، ويثنى على مجهوداتهم، لتشجيعهم على مواصلة ذلك المشروع المقدس بالنسبة للكنيسة.

أثبت يوحنا العاشر نفسه رجل سلام من الطراز الأول بعد أن حاول إبرام الاتفاق بين المتنازعين لإحلال السلام بين المسيحيين وتدخل فى الصراع بين ألمانيا وفرنسا وكذلك بين السلاف والبلغار، وبينهم وبين الدولة البيزنطية، وكانت جهوده واضحة فى هذا المجال وجديرة بالإعتبار.

من الجدير بالذكر أن هذه الأعمال التى قام بها البابا هى التى نال منها شهرته وبرئت ساحته من أخطائه القديمة بالرغم من أنها تندرج تحت الأمور الدنيوية العلمانية، لهذا يجب علينا أن نتوخى الحذر، ولا نتناسى فساده الدينى والأخلاقى والطريقة التى وصل بها لهذا المنصب الدينى، الذي من شأنه أن يقود المسيحيين إلى الدين، والهداية، والطريق المستقيم، والأخلاق الكريمة، وكل هذه الأمور افتقر إليها يوحنا العاشر.

الملاحق

صورة البابا يوحنا العاشر نقلاً عن:

https://en.wikipedia.org/wiki/Pope_John_X#/media/File:Pope_John_X.jpg

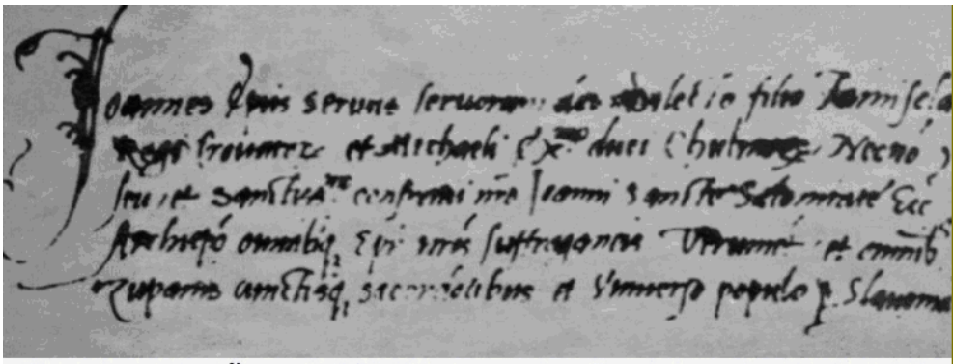

Papa Ivan X. piše god. 925. "dragom sinu Tomislavu, kralju Hrvata"

هذه المخطوطة تحتوي على جزء من الخطاب الذي أرسله البابا يوحنا العاشر إلى توميسلاف زعيم الكروات عام ٩٢٥ م، ويدعوه فيه "ملك الكروات "، نقلا عن:

https://en.wikipedia.org/wiki/Pope_John_X#/media/File:Papa_Ivan_X._Tomislav-dio_pisma26.gif

صورة تظهر تتويج الامبراطور برنجار على يد البابا يوحنا العاشر عام ٩١٥ م ، نقلا عن :

https://en.wikipedia.org/wiki/Pope_John_X#/media/File:Berengar_I_of_Italy.jpg

قائمة المصـادر والمراجـع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- Achronology of Byzantine Empire, ed. Timothy B., Great Britain, 2006.

Acomplete History of the Popes of Rome, Translated from the French of Louis Marie de Cormenin,Vol.1 , Philadelphia,1857.

- Adam of Bremen, History of the Archbishop of Hamburge- Bremen , Trans. F. Taschan, New York, 2002.
- Annales Beneventani, Monumenta Germaniae Historica, (MGH.) Tomus III , ed.Pertz G.,Hannoverae,1839.
- Annales de Flodoard, ed. Lauer, Paris, 1905.
- Annals of the Empire from The Reign of Charlemagne,By The Auther of the Age of Lewis XIV,Vol.1,MDCCCLV.
- Archibald B., The History of the Popes ,Vol.V, London, MDCCLXI.
- Arnolf of Milan, The Book of Recent Deeds, Book1, Chapter 1-6.
- Baronio Caesare, Annales Ecclesiastici, Tomus XV, Lucae, MDCCXLIV.
- Constantine Porphyrogentios, De Thematibus, ed. Pertusi, Vatican, 1952 .
- Darras, A general History of the Catholic Church, Vol. II,New York ,1866.
- Dodd's Church History of England, ed. Tierney, London, 1839.
- Enihard, The Life of Charlemagne, Ann Arbor University of Michigan Press, 1960.
- Gregorovius, History of the City of Rome in the middle Ages, Traslated from The Fourth German Edtion By Hamilton A., Vol.III, London, 1995.
- Kohlrausch, F., History of Germany, Trans. from the Last Germany Ed. by James, New York, MDCOCUI.
- Laffan, R., Select Docuoments of Europe, New York , 1929.
- Liber Pontificalis, ed. Duchesne L., Tome Second, Paris, 1892 .
- Liudprand of Cremona, The Complete Works of Liudprand of Cremona , Trans. P. Squatriti, The Catholic University of America Press, 2007.
- Maxwell-Stuart, The chronicle of the Popes, Slavonia, 1997.

- Mckilliam A., A chronicle of the Popes from St.Peter to Pius X, London , 1912.
- Nicholas 1, Letters, Greek Text and English Translation by Jenkins R. J. and Westerink L.G., Washington , 1973 .
- Platina (Native of Cremona),The Lives of the Popes ,London, N.D.
- Regesta Chronologico-Diplomatica Karolorum, ed. Bohmer J., Frankfurt, 1833.
- Regesta Pontificum Romanorum, ed. Jaffe Ph.,Berolini,1841.
- Reginonis Abbatis Prumiensis Chronicon Cum ContinuationeTreverensi, ed.Kurz, Hanover, 1890.
- Richeri Historiarum, Liber, IIII, MGH., SS. III, ed. Pertz, Hannoverae,1839.
- The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and near Eastren History, A.D. (284-813), Trans. by Cyril Mango and Roger Scott, Oxford, 1997.
- The Russian Primary chronicle: Laurentian text, Samuel Hazzard Cross, Olgerd P. Sherbowitz-Wetzor, Mediaeval Academy of America, 1953.
- Thietmar of Merseburg, The Chronicon, Trans. D. Warner, Manchester, New York, 2001.
- Widukindi Monachi Corbeinsis, Rerul Gesterum Saxonicarum, Liberi Tres, ed. Lohmann, MGH., Hanover,1935.

ثانياً : المصادر العربية والمعربة :

– ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت . ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، المسالك والممالك ، طبع فى ليدن ١٣٠٩ هـ .
– ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد بن الخطيب ، ١٣١٣ – ١٣٧٤ م ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
– ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، ٧٣٢– ٨٠٨ هـ / ١٣٣٢–١٤٠٦ م ، ديوان المبتدأ والخبر ، ج ٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
– قسطنطين السابع بورفيروجنيتوس ، إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، عرض وتحليل وتعليق محمود سعيد عمران ، دار النهضة العربية ، بيروت ،١٩٨٠ م .
– المسعودي ، أبى الحسن على ، ت. ٣٤٥ هـ /٩٥٦ م ، التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٩٣م .

ثالثاً : المراجع الأجنبية :

- Barraclough, G., The Origins of Modern Germany , Oxford, 1947.
- Barry, The Papal Monarchy, New York,1906.
- Browning, J., The History of Tuscany, Vol. 1, London, MDCCCXXVI.
- Bryce J., The Holy Roman Empire, New York, 1907.
- Catterill, H., Medieval Italy, London, MCMXV.
- Comyn, The History of the Western Empire, Vol.1, London, MDCCCXLI.
- Curta, F., Southeastern Europe in the Middle Ages 500-1250, Cambridge University Press, N. D.
- Felberman L., Hungary, London, 1908.
- Fine, J., The Early Medieval Balkans, E. M. B., Ann Arbor, 1983.
- Fine, J.,Astudy of Identiry in Pre-Nationalist Croatia,Dalmatia, and Slavonia in the Medieval and Early Modern Periods,The University of Michigan,2006.
- Finlay G., History of The Byzantine Empire , London,1913.
- Fuck-Brentano,The National History of France,The Middle Ages, Trans. O'nill, London 1912.
- Garland, L., Byzantine Empresses Women and Power in Byzantium, 1999.
- Gibbon, E., The Dcline and Fall of the Roman Empire, Vol.V, Boston, 1854.
- Haskins Ch., The Normans in European History, Boston, NewYork ,1915.
- Kalicis, N., Introduction of Historia Salonitana, Beograd, 1967.
- Lavisse, E., Historire de France , Π, Paris, 1903.
- Mann, Horace K., The Lives of هfe Popes in the Early Middle Eges, Vol.IV,London,1910.
- Marshall, H., A History of Germany, London, 1913.
- O'Malley, J., History of the Popes, New York, 2009.
- Previte – Orton, Italy in the Tenth Century in the Cambridge Medieval History, Vol. III , New York , 1922.
- Previte – Orton, The Shorter Cambridge Medieval History, Vol.1, Cambridge ,1952.
- Runciman, S., The Emperor Romanus Lecapenus and his Reign, Cambridge , 1963 .
- Setton, K., A History of the Crusades , ed. Baldwin M., University of Wisconsin Press,1969.
- Sismondi, J., History of the Italian Republics in the Middle Ages ,London, N.D.

- Spalding, W., Italy and Italian Islands, Three Volumes, Edinburgh, 1841.
- Tout T., M. A., The Empire and the Papacy 918-1273, Period Π, London, 1909.
- Ullmann, W., A short History of the Papacy in the Middle Ages , London, New York, 2003.
- Vasiliev, A., History of the Byzantine Empire, Vol.1, Madison, 1952.
- Workman, H., The Church of the West in the Middle Ages, ed. Gregory, E.,Vol.1,1912.
- Yalland, A., Hungary, New York, 1917.

رابعاً : المراجع العربية والمترجمة للعربية :

– أحمد توفيق المدنى ،المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ،مكتبة الاستقامة ، تونس ، ١٣٦٥ هـ .

– أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ٥٠٠–١١٠٠ م ، ترجمة أحمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

– حسنين محمد ربيع ، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

– دونالد نيكول ، معجم التراجم البيزنطية ، ترجمة حسن حبشى ، الهيئة العامة للكتاب ،٢٠٠٣ م .

– رأفت عبد الحميد ،الفكر السياسى الأوربى فى العصور الوسطى ، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .

– سانت موس ، ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٨.

– سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي ، ط ٦ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥ م .

– سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، النظم والحضارة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩١م.

– شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٢ هـ .

– عفاف سيد صبره ، تاريخ الدولة البيزنطية ، دار المسيرة ، عمان ، ٢٠١١ م .

– فريديناند كلر ، كتاب غارة العرب على سويسرة فى أواسط القرن العاشر ، ترجمة شكيب أرسلان ، ضمن كتاب تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٥٢هـ .

– محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام ،ط٥ ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

– محمد محمد مرسى الشيخ ، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤

– محمد محمد مرسى الشيخ ، دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين فى الأندلس ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨١م .

– محمود سعيد عمران ، نصوص تاريخية من مصادر العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٩ م .

– نورمان بينز ، الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس ، محمود زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

– هانى البشير، بيزنطة وبلغاريا ، ط١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

– وفاء مختارغزالى على ، السياسة الخارجية لألمانيا فى العصور الوسطى ، عصر أوتو الأول ٩٣٦–٩٧٣ م ، دار الأفاق العربية ، ٢٠١٣ م .

– وفاء مختار غزالى على ، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة ، دار الأفاق العربية ، ٢٠١٣ م .

خامساً: الدوريات والرسائل العلمية والقواميس الأجنبية :

- The Catholic Encyclopedia, Vol.8, New York,1910.

- The Catholic Layman, History of the Popes in the Tenth Century,Vol. 3, No. 35, November,1854,Indian University Press.

- Gilchrist J., The Papacy and War gainst the Sarracens, The International History Review, Vol.10, No.2, May,1988,Simon Farser University .

- Lindsay, B., Popes and Pornocrasi Rome in the Early Middle Ages, The Journal of Foundation for Medieval Genealogy (F.M.G.), Vol.1, No.1, 2003.

- Nicolas Oikonomides, LeoVI's Legislation, Dumberton OaksPapers, Vol.30, 1976, Harvard University.

- Romel, D.,Triumph of Survival,The Origians of Hungaryes Foreign Policy (890-1038), A dissertation Submitted to The Office of Graduate Studies of Texas University ,2001.

- Oxford Dictionary of the Popes , ed. Kelly J.,Oxford,1996.

- Skinner, P.,Family Power in Southern Italy,The Duchy of Gaeta and It's Neighbours,850-1139,Cambridge Studies in Medieval Life and

Thought , Fourth Series,Cambridge Univesity Press, 2002.

سادسا الدوريات والرسائل العلمية العربية :

- أحمد محمد الدسوقى ، الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، حصاد ٧ ، ١٩٩٩ م .

- محمد زايد عبدالله ، العلاقات البيزنطية الألمانية (٩٦٢ – ١٠٥٩م) ، رسالة ماجستير ، كلية الأداب ، جامعة الفيوم ، ٢٠٠٦ م .

- ميرفت محمد عبدالفتاح الديب ، الامبراطورية البيزنطية على عهد رومانوس ليكابينوس ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات الانسانية ، القاهرة ، ٢٠١٤ م .

- وفاء مختار غزالى على ، تاريخ المسلمين فى فراكسنيتوم ، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربى التى يصدرها اتحاد المؤرحين العرب، القاهرة ، العدد التاسع عشر ، اكتوبر ، ٢٠١١ م.